اجتماعيات أحمد شوقي ومعروف الرصافي
رؤية تحليلية نقدية

إعداد

د/ بسمة عبد الحكيم عبد الرحيم سعد الدين

مدرس الأدب والنقد

بكلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة

اجتماعيات أحمد شوقي ومعروف الرصافي رؤية تحليلية نقدية

بسمة عبد الحكيم عبد الرحيم سعد الدين

القسم : الأدب والنقد، كلية البنات الأزهرية، جامعة الأزهر فرع طيبة الجديدة، مصر.

البريد الالكتروني: basma-abdelraheem.2080@azhar.edu.eg

الملخص:

تناول هذا البحث اجتماعيات شوقي والرصافي بالتحليل والنقد والموازنة، وهذه الدراسة أبرزت – بقدر المستطاع– عبقرية شوقي والرصافي في اهتمامهما بالمجتمع الذي ينتميان إليه، والحرص على النهوض به، فكانت رؤيتهما تستحق التناول بالتحليل والنقد والموازنة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الاجتماعي، أحمد شوقي، معروف الرصافي.

The sociology of Ahmad Shawqi and Marouf al-Rusafi, an analytical and critical vision

Basma Abdul Hakim Abdul Rahim Saad Eddin
Department of Literature and Criticism, Al-Azhar Girls College, Al-Azhar University, New Tiba Branch, Egypt.
Email: basma-abdelraheem.2080@azhar.edu.eg

Abstract:
This research dealt with Shawky and Al-Rusafi sociology, analysis, criticism and balance, and this study highlighted - as much as possible - the genius of Shawky and Al-Rasafi in their interest in the society to which they belong, and their keenness to advance it, so their vision was worthy of analysis, criticism and balance.

Keywords: Social Poetry, Ahmad Shawqi, Marouf Al-Rusafi

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمد الشاكرين، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على خير الخلق أجمعين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــــــــــد

فإن الأدب مرآة لما يدور في الحياة، وتعبير صادق عن حياة الأمـــة، ولعل عودة إلى كتب الأدب في أي عصر من العصور كفيلة بأن ترسم لنـــا صورة واضحة عن حياة المجتمع في ذلك العصر وهذا ما فعله نخبة مـــن الأدباء.

لذا نرى الشعراء في العصر الحديث قد أولوا الشعر الاجتماعي جـــل اهتمامهم، فتناولوا قضاياه، وما يحدث فيه من حوادث ومتغيـــرات، حتـــى أصبح نظم الشعر الاجتماعي أمراً اعتيادياً لديهم، وممن اشتهر في هذا الفن وذاع صيته (أحمد شوقي) في مصر، و(ومعروف الرصافي) في العـــراق، وهما من منتمي مدرسة المحافظين، فقد توجها في شعرهما إلـــى تنـــاول القضايا الاجتماعية، بدافع إصلاحي تربوي، عن طريق عـــرض المشـــكلة، والحث على معالجتها.

أسباب اختيار الموضوع.

وقد وقع اختياري على هذين الشاعرين دون غيرهما من الشـــعراء؛ لأن كلاً منهما تناول قضايا المجتمع بحس عاطفي مختلـــف عـــن الآخـــر،

فأحدهما وهو (شوقي) تناول قضايا المجتمع من منظور الناظر لأوضاع المجتمع الغير راضٍ عنها، ولكنه لم يذق عسرة من عسراته، فهو شاعر القصر المنعم، والآخر وهو (الرصافي) تناول قضاياه بحس عاطفي مفعم بالمرارة والقسوة؛ لأنه عانى مرارة الفقر، والحرمان، فطبعي أن تختلف الرؤية الذاتية عند كل واحد منهما، حتى وإن اتحدا في الغرض.

ومن هذا المنطلق عقدت العزم على أن يكون موضوع بحثي هذا (اجتماعيات أحمد شوقي ومعروف الرصافي "رؤية تحليلية نقدية").

أهمية الموضوع:

ولقد استمد الموضوع أهميته من كون الشاعرين من أهم شعراء العصر الحديث الذين تناولوا قضايا المجتمع ومشكلاته، بحس إنسان عالٍ، وحب المشاركة لجموع الشعب في أفراحه وأحزانه.

كما أن الموضوع استمد أهميته –أيضاً– من ندرة البحوث العلمية التي تناولت الشعر الاجتماعي بين الشاعرين، فلقد بحثت كثيراً ولم أعثر على دراسة تناولت المجتمع بينهما، على الرغم من كثرة هذا اللون في ديوانهما، وتصويرهما لكثير من قضايا المجتمع، لهذا كله اقتنعت أن هذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث.

منهج البحث:

كما أن منهج البحث اقتضى أن يقوم على الدراسة التحليلية للأبيات التي تحدث فيها الشاعران عن المجتمع، وسأتبع ذلك بعقد موازنة في إطار تلك الدراسة تبين السمات والفضائل التي امتاز بها كل واحد منهما، معتمدة في دراستي هذه على ديوان (شوقي) تلك النسخة المسماة بـ(الشوقيات)، التي تضم شعره في أربعة أجزاء، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت،

وديوان الرصافي تلك النسخة التي راجعها (مصطفى الغلاييني)، بطبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر.

وبعد أن وقفت طويلاً مع الشعر الاجتماعي عند الشاعرين؛ لجمع مادة موضوع بحثي، ظهر لي أن خطة البحث تقتضي أن تكون على النحو الآتي.

خطة العمل في البحث: -

المقدمة: وتتناول أهمية البحث، ودوافع الكتابة فيه، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: ويتناول نبذة عن الشعر الاجتماعي، ومراحل تطوره.

المبحث الأول: اجتماعيات أحمد شوقي.

المبحث الثاني: اجتماعيات معروف الرصافي.

المبحث الثالث: الموازنة بين الشاعرين.

الخاتمة: ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسأل أن يوفقني إلى صالح القول والعمل، وأن يكلل عملي هذا بالقبول، والرضي، فهو حسبي ونعم الوكيل.

تمهيد

مدلول الشعر الاجتماعي، وتطوره.

تمهيد

مدلول الشعر الاجتماعي، وتطوره:

اهتم الكثير من الشعراء بالشعر الاجتماعي كما هو واضح من دواوينهم؛ وذلك لعرض قضايا المجتمع، ومشكلاته الكبرى، كالتعليم، والعمل، والفقر، والمرأة، وغيرها من القضايا والمشكلات التي تؤرق المجتمع، وتحول دون تقدمه، وذلك عن طريق طرح المشكلة، والحث على إيجاد حل مناسب لها.

أما عن مفهوم الشعر الاجتماعي:

فهو: الشعر الذي يعالج أحوال المجتمعات، ويصف عللها وآلامها، ويشرح أمنيتها ومطالبها في الحياة، وقد اهتم به شعراء العرب في العصر الحديث وأفردوا له الأقسام المهمة في دواوينهم الشعرية، فتحدثوا عن الآفات الاجتماعية، وعرضوا الكثير من المشاكل التي يعاني منها الشرقيون في مجتمعاتهم، وقد وجد الدارسون أيضا ألواناً من هذا الشعر منها في أدبنا العربي عند الصعاليك(١).

فالأديب يتأثر بالحياة الخارجة السائدة في بيئته، القائمة في مجتمعه، وهو يستمد أدبه من حياة هذا المجتمع، وهنا تأتي العبارة المأخوذة عن (دي بونا) الكاتب الفرنسي، والتي تقول: "إن الأدب تعبير عن المجتمع"(٢).

---

(١) ينظر: إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد تأليف/ طالب زكي طالب صـ١١٨، الناشر/ المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

(٢) ينظر: الأدب وفنونه (دراسة ونقد) تأليف/ عز الدين إسماعيل صـ٢٥، الناشر/ دار الفكر العربي، بدون طبعة وتاريخ.

أما عن تطوره عبر العصور:

فلما كان الشاعر جزءاً لا يتجزأ عن مجتمعه، يتفاعل معه ويحس بمشاكله، فإننا نجد أن هذا اللون من الشعر وهو (الشعر الاجتماعي)، قد ظهر في أدبنا العربي منذ القدم، منذ وعى الإنسان بأنه يبدع فناً.

فمنذ العصر الجاهلي تنبه الشعراء لقضايا مجتمعهم، ولكنها كانت قضايا بسيطة بحكم بساطة الحياة التي كان يحياها الشاعر العربي في البادية.

ومما قيل: بأن الشعر الجاهلي قد خلى من الشعر الاجتماعي؛ لأن الأدب قديماً كان يلقى في كنف الملوك والأمراء[1]، فإننا نقول: أن هذا القول لا أساس له من الصحة؛ لأنه وإن كان الأدب يلقى في كنف الملوك والأمراء، إلا أن هناك الشعراء الصعاليك الذين عانوا الفقر والحرمان، فطبعي أن تتضح معالم الشعر الاجتماعي في أدبنا العربي منذ القدم.

فها هو (عروة بن الورد) الذي وضع منذ نشأته الأولى بين شقي الرحى، فأبوه تتشاءم منه قبيلته، وأمه من قبيلة أقل شرفاً.

كما أنه شعر بالظلم شعوراً قوياً عندما كان له أخ أكبر، وكان أبوه يؤثره عليه فيما يعطيه ويقربه، فتفتحت عيناه في الحياة على صورة مختلة التوازن من صورها: صورة الأخ الأكبر الذي يؤثره أبوه مع غناه عليه، وإلى جانبها صورة الأخ الأصغر الذي يهمله أبوه مع ضعفه وحاجته إليه. أليست هذه الصورة هي التي شاهدها (عروة) بعد ذلك في المجتمع الذي

---

(١) ينظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، تأليف/ أنيس مقدسي، صـ٢٠١، طـ٧: ١٩٨٢م، الناشر/ دار العلم للملايين–بيروت.

يعيش فيه في مجال أوسع: الأغنياء الذين تؤثرهم الحياة بكل شيء مع غناهم، وإلى جانبهم الفقراء الذين تحرمهم الحياة من كل شيء مع شدة حاجتهم وضعفهم؟[١].

وبذلك بدأت براعم فلسفة (عروة) الاجتماعية في الظهور في شعره، فها هو يقول[٢]:

ذريني للغنى أسعى فإني *** رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم وأهونهم عليهم *** وإن أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه *** حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذو الغني وله جلال *** يكاد فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه والذنب جم *** ولكن للغني رب غفور

فها هو يرى أن الفقير شر الناس وأحقرهم مهما يكن له من فضل وخير عليهم، فالفقير يجافيه أهله، وتزدريه زوجته، حتى الصغير يستطيع أن يذله، أما الغني فمهما يفعل ومهما يخطئ يغفر له، فللغني رب يغفر الذنوب جميعاً.

ومثل (عروة) يأتي أمثاله الكثير من الشعراء الصعاليك، الذين عانوا الفقر والحرمان، فشغل الشعر الاجتماعي جل شعرهم.

---

(١) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي تأليف/ يوسف خليف، صـ٣٢٣، الطبعة الرابعة، الناشر/ دار المعارف، بدون تاريخ.

(٢) هذه الأبيات مقطوعة مستقلة في كتاب شرح ديوان عروة بن الورد بدون عنوان (ينظر: شرح ديوان عروة بن الورد العبسي لابن السكيت ، أعتني بتصحيحه/ الشيخ ابن أبي شنب صـ١٩٨،١٩٩، مطبعة/ جول كربونل- الجزائر ١٩٢٦.

وإلى جانب الشعراء الصعاليك الذين يدلون دلالة واضحة على ظهور الشعر الاجتماعي في أدبنا العربي، يأتي غيرهم ممن شغلت الحياة الاجتماعية فكرهم، فتناولوا في أبيات متفرقة مواضيع لها صلة بحياة الناس الاجتماعية.

فها هو (زهير بن أبي سلمى) يسجل ظاهرة اجتماعية تحدث أمامه في السنوات العجاف، تتمثل في بذل الموسرين من أموالهم لإعانة الفقراء، فيقول(١):

إذا السنة الشهباء(٢) بالناس أجحفت *** ونال كرام المال في الحَجْرَة(٣) الأكل

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم *** قطينا بها حتى إذا نبت البقل

فالشاعر هنا يمدح (سنان) وعشيرته ممن امتازوا بالكرم في السنين المجدبة، حتى أن الناس ليرحلون إليهم، ويقضنون حول بيوتهم، وكلما سألوهم شيئاً أعطوه لهم.

إن هذه المقطوعات وغيرها تؤكد لنا أن الشعراء في العصر الجاهلي كانوا على وعي بالقضايا الاجتماعية التي تحكم العلاقات بين الناس.

---

(١) هذه الأبيات في ديوان زهير من قصيدة يمدح فيها (سنان بن أبي حارثة) ومطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو ***وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه/ على حسن فاعور ص٨٣، ط١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

(٢) السنة الشهباء: المجدبة التي لا يرى فيها خضرة. (ينظر: لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ) ٥٠٨/١، ط٣: ١٤١٤هـ، الناشر/ دار صادر - بيروت).

(٣) الحَجْرَة: السنة الشديدة التي تحجر الناس في البيوت (ينظر: لسان العرب ٥٠٨/١).

وجاء الإسلام ليلغي العصبية القبلية التي كانت تطغى على الأفـراد، وأرسي المبادئ الاجتماعية التي تحقق العدل والمسـاواة، وتكفـل الحيـاة الكريمة لكل فرد من أفراد المجتمع، فأصبح بعض الشعراء يستلهمون تلك القيم الاجتماعية التي جاء بها الإسلام.

فها هو (معن بن أوس) يعارض من يبغضون المرأة، فيقول[1]:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن *** لا تكذب نساء صوالـح

وفيهن والأيام تعثر بالفتـى *** نوادب لا يمللنه ونوائـح

فالشاعر هنا يعارض هؤلاء الذين يبغضون المرأة، ويؤكد علـى أن فيهن الصالحات، كما في الرجال، كما أنهن يؤدين حق الفتى فلا يمللن منه، كما أنهن يؤدين حقه بعد موته بالنواح عليه.

واستمر الشعراء ينظمون أبيات متفرقة من الشعر الاجتماعي تتعلـق بالقضايا التي نظمها الإسلام.

وجاء العصر الأموي فاتسعت آفاق الشعر ومراميه، تبعاً لحالة العصر الجديد، وتعددت أحزابه السياسية، والقبلية، وتحولت الحياة إلـى صـراع دائم.

وعلى الرغم من سيطرة الصراع الحزبي والقبلي، وغلبته على الشعر الأموي، إلا أن هذا العصر لم يخل من بعض القضايا التي تتعلـق بالحيـاة الاجتماعية، فوجدنا أبيات ومقطوعات من الشعر الاجتماعي، فها هو (كعب

---

(١) البيتين لمعن بن أوس قالهما عندما ولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعـاً من ذلك، فقال معن هذين البيتين. (ينظر: الأغاني لأبي فـرج الأصـفهاني ١٢/٥٥، طـ١: ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م، الناشر/ دار الكتب المصرية).

الأشقري) يحذر الخليفة (عمر بن عبد العزيز) من فساد العمال في ولايته، وينصحه بأنهم لم يستقيموا حتى يجلد تلك الرقاب الفاسدة، فيقول[1]:

إن كنت تحفظ ما يليك فإنمـــا *** عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعـــوا له *** حتى تجلد بالسيوف رقاب

فالشاعر هنا يخاطب الخليفة، ويندد بعمال الخراج والجزية بخراسان في خلافته، تنديداً قصد منه –دون ريب– إلى مهاجمته مباشرة، لأنه اتهـــم (يزيد بن المهلب) بسرقة مبالغ طائلة من بيت المال بخراسان، وأعفاه من ولايتها وسجنه[2]، فنبهه هنا (كعب) بهذه الأبيات؛ ليعيد نظـــره فـــي كـــل عماله.

ويأتي العصر العباسي ليشهد امتزاج الثقافات، نتيجة اتصال العـــرب بالفرس واليونان وغيرهم، فكان من الطبعـــي لتلـــك الحيـــاة الجديـــدة أن تسترعي انتباه بعض الشعراء القضايا التي تتعلـــق بالحيـــاة الاجتماعيـــة، فوجدنا بعض الأبيات والمقطوعات التي تنسب للشعر الاجتماعي، فها هـــو الشاعر (أبو فرعون الساسي)، يصف شدة الجوع الذي يعاني منـــه أولاده،

---

(١) الأبيات في البيان والتبيين للجاحظ، وروي أنه لما سمع الخليفة هذا الشـــعر قـــال: لمن هذا؟ قالوا: لرجل من (أزد عمان) يقال له: كعب الأشقري قال: ما كنت أظن أن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر. (ينظر: البيان والتبيين للجـــاحظ (ت:٢٥٥هـــ) ٢٣٣/٣، الناشر/ مكتبة الهلال – بيروت، ١٤٢٣هـــ.

(٢) ينظر: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي تأليف/ حسين عطوان صـــ٢٥٤، طـــ٢: ١٤٠٩هـــ – ١٩٨٩م، الناشر/ دار الجيل.

فيرفع شكواه إلى المشكو إليه استعطافاً، فيقول(١):

وصبية مثل فـــــراخ الذر *** سود الوجوه كسواد القدر
جاءهم الشتاء وهم بشــر *** بغير قميص وبغيــر أذر
وبعضهم ملتصق بصــدري *** وبعضهم منحجر بحجري
أسقهم إلى أصول الجـــد *** هذا جميع قصتي وأمري
فارحم عيالي وتول أمــري *** كنيت نفسي كنية في شعري
أنا أبو الفقر وأم الفقر

فهذا الشاعر يصف حال أولاده الــذين يعــانون الجــوع والبــؤس والحرمان، وكيف أنهم يبيتون في الشتاء عراة بغير قمصان، وبغيــر أذر، وهو يضمهم إليه كأنه يخفف عنهم شدة البرد، وهذا حالــه وحــال أولاده، فهذه قصته التي يرفعها للمشكو إليه استعطافاً واسترحاماً، لكــي يــرحمهم ويتولى أمرهم.

فهذه المقطوعة تصور حياة البؤس التي كانت تسيطر علــى بعــض أفراد المجتمع في العصر العباسي، كما أنهــا تبــرز جانبــاً مــن الحيــاة الاجتماعية التي كان يحياها سواد الشعب، أمام حياة البذخ والتــرف التــي كان يحياها الخلفاء والأمراء والوزراء في مجالس الطرب والغنــاء التــي

(١) الأبيات ذكرها ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء في حديثــه عــن أخبــار أبــي فرعون الساسي، وقال عنه: أنه كان من أفصح الناس وأجــودهم شــعراً وأكثــرهم نادرة، ولكنه لا يصبر على الكدية، واستدل على ذلك بتلك المقطوعة لــه. (ينظــر: طبقات الشعراء لابن المعتز (ت:٢٩٦هـــ)، ت/عبد الستار أحمد فــراج صـــ٣٧٥، الطبعة: الثالثة، الناشر/ دار المعارف، بدون تاريخ).

اشتهر بها العصر العباسي.

كل هذا وغيره من الأبيات والمقطوعات التي تتعلق بالحياة الاجتماعية، لتبرهن على أن الأدب في تلك العصور قد عرف الشعر الاجتماعي، وتعرض له الكثير من الشعراء، لذلك ليس بإمكاننا أن ننكر وجوده، على الرغم من قلته وعدم تقديمه صورة واضحة لأي عصر من تلك العصور.

ومضى الحال على ما هو عليه حتى جاء العصر الحديث، ولم ينتبه الشعراء لهذا اللون من الشعر، حتى أن الشعر الاجتماعي الذي عرف به (حافظ) لم يكن فنه من قبل، ولا كان قد تنبه له أو تحراه في طريقته، فلما جاءت إلى مصر الإمبراطورة (أوجيني) نظم قصيدته النونية التي يقول فيها[1]:

فاعذرينا على القصور، كلانا *** غيرته طوارئ الحدثان

يقول الرافعي: ولقيته بعدها فسألني رأيي في هذه القصيدة وكان بها مدلاً معجباً، شأنه في كل شعره، فانتقدت منها أشياء في ألفاظها ومعانيها،

---

(١) البيت من قصيدة (إلى الإمبراطورة أوجيني)، نظمها حافظ إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا في هذه الإمبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل في فندق (سافواي) ببور سعيد، ومجيئها قبل ذلك في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوي إياها استقبالاً فخماً، ومطلع القصيدة:

أين يوم (القنال) ياربة التا *** ج ويا شمس ذلك المهرجان

(ينظر: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه، وصححه، وشرحه، ورتبه (أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري) صـ٣٢٨، طـ٣: ١٩٨٧م، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب).

وأشرت إلى الطريقة التي كان يحسن أن تخاطب بها الإمبراطورة، فكأنني أغضبته، فقال:

إن الشيخ (محمد عبده، وسعد زغلول، وقاسم أمين) أجمعوا على أن هذا النمط هو خير الشعر، وقالوا لي: إذا نظمت فانظم مثل هذا الشعر الاجتماعي ثم كأنه تنبه إلى أنها طريقة يستطيع أن ينفرد بها [1].

هكذا تنبه الشعراء لهذا اللون من الشعر، حتى أصبح في العصر الحديث غرضاً بارزاً من أغراض الشعر؛ لأنه أسهم في نشر الوعي الاجتماعي، وتصوير الواقع عن طريق ذكر الداء ووصف العلاج.

وبذلك استقل الشعر الاجتماعي في قصائد خاصة، فما من شاعر في العصر الحديث إلا ونظم في هذا الشعر، وكان على رأسهم (شوقي) في مصر، و(الرصافي) في العراق.

(١) ينظر: وحي القلم للرافعي (ت:١٣٥٦هـ) ٣/٢٦٠، ط١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، الناشر/ دار الكتب العلمية.

المبحث الأول

اجتماعيات أحمـــد شوقي.

أولاً: التعريف بشوقي.

ثانياً: شعره الاجتماعي.

أولاً- التعريف بشوقي:

نسبه ومولده :

أحمد شوقي بن علي بن أحمد، أشهر شعراء العصر الحديث، ويلقب بأمير الشعراء، ولد بالقاهرة، عام (١٢٨٥هـ- ١٨٦٨م) في عهد الخديوي إسماعيل باشا، وكان جده من جهة أبيه كردياً، قدم إلى مصر في عهد محمد علي باشا(١).

وقد تكفلت جدته لأمه برعايته، بعد موت والديه، فاحتضنته واهتمت به، وجدته هذه إحدى وصيفات القصر الخديوي، التي استطاعت أن تدخله إلى البيت الخديوي وهو في الثالثة من عمره.

ومما تجدر إليه الإشارة، أن نسبه تتداخل فيه أصول وأجناس مختلفة من جهة أجداده لأبيه ولأمه، لذلك فهو يقول عن نفسه بعد أن تحدث عن أجداده: أنا إذاً عربي تركي يوناني جركسي، وهذا التمازج دعا بعض الدارسين إلى أن يعدوه من عوامل تكوين شاعريته(٢).

تعليمه:

دخل شوقي المدرسة الخديوية، وتخرج من الحقوق، وألحقه الخديوي (توفيق) بمعيته، ثم أشخصه على نفقته إلى فرنسا؛ ليدرس الحقوق والآداب

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٤٦/١، الناشر/ مكتبة المثنى- بيروت، والموسوعة الشوقية جمع وترتيب/ إبراهيم الإبياري ٢٥٠/٦، الناشر/ دار الكتاب العربي ١٤١٥هـ.

(٢) ينظر: التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي تأليف/ ماهر بن مهل الرحيلي صـ٨،٩، الناشر/ مكتبة كنوز المعرفة- المدينة المنورة ١٤٢٧هـ.

الفرنسية، ولما عاد إلى مصر تولى منصبه في معية الأمير، وظل يتدرج بالمناصب حتى تولى رياسة القلم الإفرنجي، ولما نشبت الحرب الكبرى أزيل من منصبه، ثم رؤى له أن يغادر، فاختار برشلونة مثوى له ولأسرته(١).

أعماله:

شوقي كشاعر للقصر بدأ حياته يسوق شعره للقصر ومناسباته، فبدأ بقصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل)، فهو بذلك بعيد عن الجمهور بحكم أسرته الأرستقراطية، ووظيفته الرسمية، ثم توجه للجمهور بطبعته الأولى لديوانه عام (١٨٩٨م)، ومن هنا حدث تطور في مدائحه، إذ كان يراعي فيها مناسبة تهم الجمهور، كأن يفتتح الخديوي مدرسة، أو يأخذ بنظام الشورى في حكمه، أو يغاضب الإنجليز في سياسته، وكان يمد آفاق شعره إلى حدود أبعد، إذ كان يعتصر في بعض مدائحه اللحن الإسلامي الذي يهم المسلمين في جميع الأقطار على نحو ما نرى في قصيدته التي مدح بها عباساً حين حج إلى بيت الله، ولعل هذا ما جعله يصوغ قصائده في مديح الرسول –صلى الله عليه وسلك– حتى يرضي عواطف قرائه الدينية، وأشاد بعيسى –عليه السلام –؛ ليرضي قراءه المسيحيين، وله وقفات نبيلة يدعو المصريين إلى توحيد صفوفهم مسلمين وأقباط.

وينفى إلى أسبانيا فينظم قصائد يقارن فيها بين فردوسه المفقود، وفردوس العرب الضائع في الأندلس، وينوح ويصور قروحه النفسية لا في

---

(١) ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه د/ محمد عبد المنعم خفاجي ١/٨٤:٨٧، طـ١: ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، الناشر/ دار الجيل– بيروت.

سينيته، بل –أيضاً– في نونيته.

ثم يعود من المنفى فيجد الشعب في ثورته السياسية، ويجد أبواب القصر مغلقة، فيتجه إلى الجمهور، وبذلك أصبح شاعراً شعبياً.

ولم يكتف بوطنه، فقد ذهب يتغنى بأمجاد العرب، وقصيدته أو موشحته في (عبد الرحمن الداخل)، من آياته، وله ديوان شعر سماه (دول العرب وعظماء الإسلام)، وقد تغنى بعد عودته من منفاه عواطف الأوطان العربية وشاركها ثوراتها مشاركة قلبية حارة.

وعلى كل كان (شوقي) يحلق بشعره في كل الأجواء، وقام أخيراً بمحاولة رائعة، إذ حاول تمصير الفن المسرحي، فنظم طائفة من المسرحيات(١).

وفاته:

ظل (شوقي) يصدح بشعره في أجواء الوطن العربي، وإمارة الشعر في يده، إلى أن وافته المنية في أكتوبر عام (١٩٣٢م)، وبقي شعره يتردد على ألسنة الناس، ويحظى باهتمام الدارسين والنقاد إلى يومنا هذا(٢).

---

(١) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف صـ١١٧: ١٢٠، الطبعة: العاشرة، الناشر/ دار المعارف.

(٢) ينظر: التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي صـ١٦.

ثانياً- شعره الاجتماعي:

إن المتأمل في (الشوقيات) يلحظ أنها ظلت على اختلافها، وتعدد أساليبها، يشدّها خيط ناظم وهو الإحساس الفادح بالجور الذي يحوّل الحياة إلى عبء ثقيل، ويدفع الشعر إلى أن ينهض بدور سياسي، فـ(شوقي) إنسان شديد الانهماك في الحياة، والشعر عنده ليس تعبيراً عن حقائق النفس فحسب، بل هو تعبير عن حقائق الواقع، وقد امتزجت بحقائق النفس.

وفي هذا الإطار يأتي شعره الاجتماعي الذي يحتفي فيه بالفئات الضعيفة في المجتمع المصري، وعلى رأسها فئتي العمال، والمرأة، مستأنفاً عن طريق الشعر خطاب المصلحين المصريين، محاوراً -عن طريق قصائده- قادتهم حوار من ينتصر لأفكارهم ويساند مواقفهم(١).

وشوقي لم يفرد شعره الاجتماعي، ويجعله مستقلا في ديوانه، بل جاء عنده ممزوجاً بشعره السياسي والتاريخي، أو مستقلاً في قصائد خاصة، تتحدث عن المجتمع وتحارب الجهل والفقر والسفور، وغيرها.

وسأقف هنا -بعون الله- على نماذج من هذا الشعر الاجتماعي عنده؛ لإستجلي رؤيته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، دون أن يذق عسرة من عسراته، ولكنه سعى جاهداً للنهوض به ودفعه إلى الأمام، والارتقاء بأفراده الذين يعيشون فيه، ومن أهم تلك النماذج ما يأتي:

---

(١) ينظر: من شعراء الإحياء (أحمد شوقي، ومعروف الرصافي، ومحمد الشاذلي) تأليف:د/ آمال موسى وآخرون، صـ٥٢، الناشر/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- الآلكسو بدون طبعة وتاريخ.

أولاً- الدعوة إلى نشر العلم والحث على طلبه:

إن المتأمل في (الشوقيات) يقف على غزارة ما قيل فيه عن العلم، ولعل في ذلك دليلاً على عمق وعي الشاعر بأهمية العلم، ودوره في إصلاح المجتمع ونهوضه.

لقد تناول (شوقي) في دعوته إلى نشر العلم عدة محاور، فتارة نراه يحارب الجهل، وتارة يبث فضائل العلم، ويذكر فضل المعلم، وتارة يستنهض الشباب لطلب العلم، فنراه مثلا يقول في ذم الجهل[1]:

إني نظرت إلى الشعوب فلم أجد *** كالجهل داءً للشعوب مبيدا

الجهل لا يلد الحياة مواته *** إلا كما تلد الرّمام الدودا

في هذين البيتين نجد (شوقي) يخبرنا ويؤكد لنا بأنه نظر في الشعوب، فلم يجد داءاً أشد عليها من الجهل، وأنه يهلكها مثل الموت.

كما أن الجاهل تبدو حياته كالدود الذي يتولد من الرمة، فلا قيمة له وإن كان حياً.

لقد اعتمد الشاعر في هذين البيتين على أسلوب الخبر (الذي هو قول يحتمل الصدق والكذب)، فإن كانت حياة الجاهل لا خير فيها كان الخبر

---

(١) ينظر: الشوقيات لأحمد شوقي ١١٢/١، الناشر/ دار الكتاب العربي- بيروت بدون طبعة وتاريخ.

والأبيات من قصيدة بعنوان (تكريم) نظمها احتفالاً بإطلاق سراح سجناء في وزارة (سعد زغلول) عام (١٩٣٤م)، كانت المحاكم العسكرية الإنجليزية قد أدانتهم في مؤامرة، ومطلع القصيدة:

بأبي وروحي الناعمات الغيدا *** الباسمات عن اليتيم نضيدا

صادقاً، وإن خالف هذا الواقع كان الخبر كاذباً، ولا شك أن أثـــر الجهـــل لا يخفى على عاقل.

كما أن المتأمل هنا يلحظ الحسية البصرية التي استعان بها الشـــاعر في قوله: (نظرت) وهذا تأكيد منه بأنه نظر فلم يجد أشد من الجهل داء يبيد الشعوب، مما يزيد من قباحة الجهل وذمه.

كما أن التجسيد والتشخيص عن طريق الاستعارة في البيت الثـــاني، توضيح للصورة، وتقبيح للجهل، وتنفير للنفوس منه.

ويقول –أيضاً– في ذم الجهل، والحث على طلب العلم، مخاطباً شباب الأمة[1]:

هل علمتم أمة في جهلهـــا *** ظهرت في المجد حسناء الرداء

باطن الأرض من ظاهرها *** إنما السائل من لون الإنـــــــــاء

فخذوا العلم على أعلامـــه *** واطلبوا الحكمة عند الحكمـــــاء

فالشاعر هنا يوجه سؤاله لشباب الأمة عما إذا علموا أن هناك أمـــه مع جهلها ظهرت حسناء الرداء، وهو بهذا السؤال يحض على العلم، ويذم الجهل، ثم يأتي بحكمة؛ ليؤكد كلامه بأن باطن الأرض يعرف من ظاهرها، كما أن السائل يأخذ لون الإناء الذي يحويه، ثم ينصح هؤلاء الشباب بأخـــذ العلم على أعلامه، وطلب الحكمة عند الحكماء.

---

(١) ينظر: الشوقيات ٦/٢، وهذه الأبيات جزء من قصيدة طويلة بعنوان (آية القصر في سماء مصر)، ومطلعها:

يا فرنسا نلت أسباب السماء *** وتملكت مقاليد الجـــــــواء

بأبي وروحي الناعمات الغيدا *** الباسمات عن اليتيم نضيدا

لقد بدأ الشاعر أبياته بأسلوب إنشائي وهو الاستفهام، والغرض منه النفي، فهو ينفي العلم بوجود أمة جاهلة، تلبس رداء التقدم.

ويأتي الشاعر بأساليب الأمر (فخذوا، اطلبوا)، للحث والحض على طلب العلم.

وتظهر عبقريته في البيت الثاني في هذه الحكمة التي تؤكد كلامه، وتزيد من توضيح رؤيته في ذم الجهل وتقبيحه.

ويقول –أيضاً– في ذم الجهل والجهال[1]:

وفي الجُهال لا تضع الرجاء *** كوضع الشمس في الوحل الضياء

يضيع شعاعها فيه هباء *** وكان الجهل ممقوتاً ذميماً

الشاعر هنا يضعنا وجهاً لوجه أمام واقع يضم جهل وجهال، ويحاول جاهداً تغيير هذا الواقع، فينصح بعدم الانصياع وراء الجهال، فليس فيهم رجاء، فمن يضع رجاءه فيهم هو كالشمس التي تضع ضوءها في الوحل، فلا فائدة منه، بل يذهب هباء.

الشاعر في هذين البيتين لا يستخدم ألفاظا رقيقة ناعمة، بل يستخدم ألفاظاً حادة صارخة بالحركة، والتي تجعلنا نحس بجمال تلك الصورة الجزئية، فالشاعر لا يتعامل مع الكلمات باعتبارها ترفا عقلياً بقدر ما يتعامل معها باعتبارها سلاحاً وتصعيداً وجدانياً في محاربة الجهل والجهال.

إن الجهال من خلال هذين البيتين قدم لنا صورة تشبيهيه، تجسد لنا

---

(١) ينظر: الشوقيات ٧٢٣/٤، والبيتين من قصيدة طويلة بعنوان (معالي العهد)، والتي نظمها في ميلاد الأمير (محمد عبد المنعم)، ومطلعها:

معالي العهد قُمت بها فطيماً *** وكان إليك مرجعها قديماً

الجو العام للمأساة، وهي جهل من يضع رجاءه في الجهال فهو مثله مثل الشمس عندما تضع شعاعها في الوحل، فيضيع هذا الشعاع هباءاً.

إن هذه الصورة الموجزة تشعرنا بوعي الشاعر، ورغبته المعذبة في تحدي الجهل والجهال، وطموحه الجامع إلى التخطي بالمجتمع من عالم مظلم إلى عالم أكثر إشراقاً بالعلم والعلماء.

ومن ذم الجهل والجهال ينتقل الشاعر إلى بث فضائل العلم والحث على طلبه، وبيان فضائل المعلم.

فمثلاً نراه يقول في الحث على نشر العلم(١):

يا ناشر العلم بهذي البلاد *** وُفِقت نشر العلم مثل الجهاد
باني صرح المجد أنت الذي *** تبني بيوت العلم في كل ناد
بالعلم ساد الناس في عصرهم *** واخترقوا السبع الطباق الشداد
أيطلب المجد ويبغي العلا *** قوم لسوق العلم فيهم كساد؟

في هذه الأبيات يتوجه الشاعر إلى وزير المعارف ويناشده بإنشاء مدرسة لنشر العلم، ويخبره بأن ناشر العلم ثوابه يعدل المجاهد في سبيل الله، كما أن بنشره للعلم يسود الناس في عصره، ويتمكنوا من صنع المعجزات، ثم يتوجه له بالسؤال: هل يمكن لهم أن يطلبوا المجد بدون علم منتشر بينهم ؟.

---

(١) ينظر: الشوقيات ١/١١٦،١١٧، والأبيات من قصيدة طويلة بعنوان (المطرية تتكلم)، وقد نظمها عندما كان يسكن المطرية، وأحس بحاجة هذه البلدة إلى مدرسة تهذب أبنائها، فناشد وزير المعارف وقتها (سعد زغلول) على لسان المطرية ليقوم بإنشاء هذا الأثر الجليل لنشر العلم، ومطلعها تلك الأبيات التي عرضتها.

إن هذه اللفتة الذكية من الشاعر عندما جعل (المطرية) كلها تناشد وزير المعارف، ليعمق لنا مسار القصيدة الفكري، ويستطيع من خلاله أن يخلق جواً درامياً يثير فينا الإثارة والانفعال.

بدأ الشاعر أبياته بهذا الأسلوب الإنشائي، وهو (النداء) في (ياناشر العلم)، والغرض منه التنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب الذي يلقيه، ثم جعل المنادى نكرة مقصودة؛ لأنه قصد نداؤه، ودل على معين يقصده الشاعر وهو (وزير معارف) تلك البلدة.

وتظهر عبقرية الشاعر في تلك الصورة التشبيهيه التي رسمها، حيث شبه جزاء ناشر العلم بالمجاهد في سبيل الله، وفي هذا مبالغة وتعظيم لفضل العلم وثواب ناشره، وهي مبالغة مقبولة؛ لأنها مستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وليس أروع من محاولة الشاعر لتوصيل أفكاره وتأدية رسالته المفروضة عليه تجاه مجتمعه، من أن يسلك عدة محاور للإقناع، فالسيادة بالعلم واختراق السبع الشداد لا يكونا إلا بالعلم.

اختار الشاعر التعبير بقوله: (السبع الطباق الشداد) وهي السماوات السبع متينة التكوين قوية البناء؛ لإثباته بأن العلم هو طريق النور والعمران، وبه تبني الأمجاد وتحقق المعجزات، وقد حدث ذلك بالفعل عندما حققت الدول الأوربية بالعلم ما تثبته المعجزات، بينما كانت قبله تعيش في الظلمات والجهل.

وبعد هذه المقطوعات في فضل العلم والحث على طلبه، يأتي لنا (شوقي)، بقصيدة تعد من عيون الشعر العربي الحديث؛ لما فيها من قيم عليا تحث على العلم والتعلم، وترفع مكانة المعلم بين الناس وهي قصيدة:

(العلم، والتعليم، وواجب المعلم)، ومطلعها[1]:

قـــم للعلـــم وفّـــه التبجيـــلا *** كاد المعلم أن يكون رســـولاً

أعلمت أشرف أو أجل من الذي *** يبني وينشيء أنفساً وعقولا؟

في هذين البيتين، وهما مطلع قصيدة طويلة جاءت كلهـــا لتوضـــيح فضل العلم، ومكانة المعلم، يتلخص لنا مضمون الفكرة التي يريد الشـــاعر توصيلها للمتلقي، فهو هنا يأمر بالقيام للمعلم واحترامه، فإن مكانة المعلـــم تكاد تقارب مكانة الرسول، ثم يتساءل: هل هناك من هو أشرف وأكبر قيمة من الإنسان الذي يبني النفوس والعقول.

إن هذا البيت الأول وهو مطلع القصيدة يضع الشاعر في حرج مـــن أول وهلة؛ وذلك لأنه جعل المعلم رسولاً، ولكن بعد التمعن نجد أن الشاعر قد خرج من هذا الحرج عندما أتى بلفظ (كاد) فاستعماله لفعل التقرير يعني أن المعلم لم يبلغ مرتبة الرسل بل قرب من مكانهم.

فالمراد هنا أن المعلم رسول بالمعنى المجازي؛ لأنه يحمـــل رســـالة العلم والأخلاق، وكل من يحمل رسالة العلم على عاتقه فهو بمثابة الرسول.

ثم يأتي هذا الاستفهام في البيت الثاني الذي يقوي المعنى ويؤكـــده، والغرض منه النفي والإنكار، فهو ينفي أن يكون هناك من هو أشـــرف أو أجل من هذا المعلم الذي يبني الأنفس والعقول.

والقصيدة كلها إلى آخرها تزخر بالقيم الجمالية في فضل العلم ومكانة المعلم، وقد اكتفيت بهذين البيتين، فقد لخصا مضمون القصيدة كلها.

وهكذا يمضي (شوقي) في دعوته للعلم، والحث على طلبه، ليصل بنا

---

(١) ينظر: الشوقيات ١/١٨٠.

في نهاية المطاف إلى مكان تلقي العلم وهو (المدرسة)، ليجعلها تتحدث وتناجي طلابها في قصيدة تحمل اسم (المدرسة)، يقول فيها[1]:

أنا المدرسة اجعلني *** كأمٍّ لا تملْ عنـــــي
ولا تفزع كمأخـوذ *** من البيت إلى السجـــن
كأني وجه صيـــادٍ *** وأنت الطير في الغصـن
ولابد لك اليـــوم *** -وإلا فغدا- مـــنـــي
أو استغن عن العقل *** إذن عني تستغنـــــي
أنا المصباح للفكـر *** أنا المفتاح للذهـــــن
أنا الباب إلى المجـد *** تعال ادخل على اليمـــن
غداً ترتع في حوشي *** ولا تشبع من صحنـــي
وألقاك بإخـــوان *** يُدانونك في السِـــــن
تناديهم بيا فكـــري *** ويا شوقي وياحسنـــي
وآباء أحبـــــوك *** وما أنت لهم بابـــن

في هذه القصيدة يتحدث (شوقي)، على لسان المدرسة، واصفاً لنا حالها، وهي تنادي طلابها ليأتوا إليها،ويجعلونها كأم لهم؛ حتى لا يملوها، ولا يفزعوا منها كأنها سجن يأخذهم من البيت أو صيد يصطادهم من على الأغصان، ثم تخبرهم بأنها لابد لهم منها وإن لم يك اليوم فغد، وألا يستغنوا عن العقل حتى لا يستغنوا عنها.

ثم يجعل المدرسة تصف نفسها بأوصاف، تجعل طلابها يقبلون عليها، فتصف نفسها بأنها مصباح للفكر، ومفتاح للذهن، كما أنها الباب الذي

(١) ينظر: الشوقيات ١٩٦/٤.

يوصلهم للمجد، فمن أراد فليدخل، فسوف يرتع في حوشها، ويشبع من صحنها، كما أنها المكان الذي تجمعه بإخوان له يدانوه في السن، ويجد فيه آباء يحبونه وهو ليس ابن لهم.

في تلك الأبيات كما لاحظنا تعلو نغمة التحدي والمجاهرة عند الشاعر، حيث جعل المدرسة نفسها تخاطب طلابها، بشكل من أشكال الحوار المباشر، مما أكسب الأبيات رشاقة وحيوية إلى جانب الفكرة التي يرمي إليها الشاعر.

حفلت الأبيات بالعديد من صيغ الأمر في (اجعلني، لا تمل، لا تفزع، استغن، تعال، ادخل)، وهي صيغ تعبر عن احتشاد المشاعر وتدفق الأفكار، وتحث على ضرورة الاستجابة لها، وهذا يؤكد لنا عمق إحساس الشاعر بالموقف.

بعض الكلمات في النص ذات ايحاءات معينة، فقد خرجت عن معانيها الحقيقية، فلفظة (أم)، تشير إلى الأمان والاستقرار الذي يشعر به الطالب في المدرسة، ولفظة (آباء)، تعني احتواء الآخرين وإيواءهم، فالمعلم يحتوي الطالب كابن له.

آثر الشاعر في الأبيات أن يتخذ من (المدرسة) مجالاً يثبت بها صحة ما ينادي به، من قيمة العلم وأهميته، حيث جعلها تصف نفسها بقوله: (أنا المصباح، أنا المفتاح، أنا الباب)، فقد جسد (المدرسة) وجعلها مصباحاً وجعلها مفتاحاً، وجعلها باباً، تجسيداً يوضح قيمتها وشدة تأثيرها، مما يدفع المتلقي في هذا السياق إلى استحضار تلك القيم في وجهيها المادي والمعنوي، وهذا تأكيد من الشاعر على أهمية العلم، ومكانة المتعلم.

ثانياً- قضايا المرأة:

تعد قضايا المرأة من أهم قضايا المجتمع؛ وذلك لأن المرأة هي نـــواة أي مجتمع وسر بقائه، فمن المحال أن يتقدم مجتمع وينهض بدونها.

لذا كانت موضوعات المرأة من (دورها في تربية الأبناء، وتعليمهـــا، وحجابها، وسفورها، وغيرها) من أهم مشـــكلات العصـــر الـــذي عاشـــه (شوقي)، لذلك حرص على تناول تلك القضايا في شعره.

ومن أهم تلك القضايا التي تناولها في شعره ما يأتي:

مكانة المرأة ودورها في تربية الأبناء:

إن تربية الأبناء من أهم الواجبات الملقاة على عاتق المرأة؛ وذلـــك لأنها هي المدرسة الأولى التي ينشأ فيها، فمن معينها ينهل وعلـــى هـــدي منها يتشكل، ولقد أدرك (شوقي) تلك المهمة التي تقوم بها المرأة، فلخصها لنا في مقطوعة بعنوان (الأم)، وفيها يقول[1]:

لولا التُّقى لقلت: لـــــم *** يخلق سواك الولـــدا!
إن شئت كان العَـــيْرَ أو *** إن شئت كان الأســـدا
وإن تُرِدْ غيّا غـــــوى *** أو تبغ رُشداً رشـــدا
والبيت أنت الصوت فيـــه *** وهو للصوت صـــدى
كالببَّغا فـــي قفـــــص *** قيل له فقلـــــــــدا
وكالقضيب اللدن قـــــد *** طاوع في الشكل اليدا
يأخـــذ مـــــــا عوَّدْته *** والمرء ما تعـــــودا

في هذه الأبيات يعظم (شوقي) الأم، لدرجة أنه كاد أن يجزم أنها هي

(١) ينظر: الشوقيات ١٩٢/٤.

التي خلقت الولد، لولا تقواه لله، مشيراً إلى دورها في توجيه أخلاق الولد، فهو يقلدها في كل شيء، للزومه إياها.

استهل الشاعر قصيدته بأداة الشرط (لولا) التي كبل بها نفسه في تعظيمه للأم، فلولا تقواه لله لقال أن الأم هي التي خلقت الولد، وهذا يدل على شدة تأكيد الشاعر على مكانة الأم ودورها العظيم في حياة الأبناء.

ثم ينتقل مخاطباً الأم بأنها هي التي تشكل شخصية ابنها، فإن شاءت كان عَيْر أي حمار، أو إن شاءت كان أسداً، وهذا تأكيد لها على مكانته، ودورها في حياة الأبناء.

ثم خاطبها في البيت الثالث بأسلوب الشرط كذلك، فقال لها: (إن أردت)، فقدم لها الشرط والجزاء، فإن أرادت رشداً رشد، وإن أرادت غياً غوى، فهي المسئول الأول عن صلاحه وفساده.

إن اعتماد الشاعر في هذه الأبيات على أساليب الشرط التي تتضمن أسلوب الإنشاء وإن كانت تحمل في طياتها الخبر، يرجع إلى أن أسلوب الشرط ثنائي التركيب، أي له جملتان: الأولى: جملة الشرط، والثانية: تحمل الجواب، بالإضافة إلى أنه يحمل معاني النصح والتوجيه والإرشاد(١).

ويستمر الشاعر مخاطباً الأم، فيوضح لها أنها الصوت الذي يتردد صداه عند الابن، وما هذا إلا حض لها على ضرورة الحفاظ على كل ما يصدر منها.

ثم يأتي بالصورة التشبيهية التي توضح لهذه الأم مدي تقليد الابن

---

(١) ينظر: أسلوبيات (علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات) د/ محمد السيد مطر صـ١٩٨، الناشر/ الأكاديمية الحديثة، بدون طبعة وتاريخ.

لها، فيشبهه بالبغبغان الذي يردد كل ما يسمع، كما يشبهه بالغصن الناعم الذي تستطيع الأم تشكيله كيفما تشاء.

إن هذه الصورة التشبيهية ذات الطابع الحسي، توضح مدى إدراك الشاعر لمكانة الأم ودورها في حياة الأبناء، لذا لجأ إلى تلك الصور التشبيهية، لتوصيلها للمتلقي سهلة واضحة.

تعليم المرأة:

أما عن تعليمها، فقد رأي (شوقي) ضرورة تعليم المرأة؛ لأن في تعليمها إصلاح للمجتمع، وتكوين جيل صالح للمستقبل، فنراه يقول[1]:

وإذا النساء نشأن في أمية *** رضع الرجال جهالة وخمولا

ليس اليتيم من انتهى أبواه من *** همَّ الحياة وخلّفاه ذليلاً

فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما *** وبحسن تربية الزمان بديلا

إن اليتيم هو الذي تلقى له *** أماً تخلت أو أبا مشغولا

في هذه الأبيات يركز الشاعر على عنصر فعال في بناء المجتمع، وهو تعليم المرأة؛ وذلك لأنها ستصبح في المستقبل أماً تربي جيلاً للمستقبل، فإذا كانت الأم جاهلة ستخرج جيلا كاملاً من الأميين، وهذا مما يضر بالمجتمع، ويعوق تطوره.

ثم يعرف لنا اليتيم تعريفا يختلف عما هو متعارف عليه، فيقول: أن اليتيم الحقيقي هو من تخلت عنه أمه، وانشغل عنه والده.

---

(١) ينظر: الشوقيات ١٨٣/١، والأبيات من قصيدة (العلم، والتعليم، وواجب المعلم)، ومطلعا:

قم للمعلم وفه التبجيلا *** كاد المعلم أن يكون رسولا

أول ما يسترعي انتباهنا في هذه الأبيات، تلك الصورة التشبيهية، التي أتى بها الشاعر، لتوضيح أهمية تعليم المرأة، وذلك حينما شبه النهل من العلم في الصغر بعملية الرضاعة، فمن يرضع الجهل سيصبح جاهلا ومن يرضع العلم سيتقدم ويتطور، وفي هذا التشبيه ما يدل على عبقرية الشاعر وإداركه لأهمية تعليم المرأة، وشدة تأثيرها.

وتأتي الجمل الخبرية بما لها من ثقل في التركيب اللغوي، وسيلة من وسائل التعبير التي ركز عليها الشاعر في أبياته، ففي قوله: (وإذا النساء نشأن...)، جملة تتضمن أسلوب الإنشاء وتحمل في طياتها معنى الخبر. وجملة: (إن اليتيم هو...) جملة خبرية مؤكدة بمؤكد واحد.

إن هذا التلون الخبري في التعبير، دليل على إبداع الشاعر، وبلاغة الجملة الخبرية في سياقها الدلالي.

وفي قوله: (ليس اليتيم من انتهى أبواه...)، أسلوب قصر، فقد قصر الشاعر اليتيم على من تخلت عنه أمه وانشغل عنه والده، ونفاه عن فقدان الوالدين أو أحدهما، قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً، والقصر هنا من أساليب التوكيد التي استعان بها الشاعر.

حجاب المرأة:

لا شك أنه عندما فُرض الحجاب كان الغرض منه ستر المرأة، ودرء للفتنة التي قد تحدث، إذا خرجت المرأة سافرة، وهذه حقيقة أدركها العقلاء في المجتمع.

وتظهر دعوى (قاسم أمين) لتحرير المرأة، فيرى (شوقي) أن المرأة تستجيب لدعوى (قاسم)، وتحاول جاهدة أن تمزق حجابها، ويقف أول الأمر متردداً بين هواه في تشجيعها، وبين التقاليد الإسلامية التي يشجع عليها

القصر[1]، وبما أنه شاعر القصر لم ينساق لهواه، ولم يشارك في تلك الدعوى مخافة أن يغضب القصر؛ لأن شاعر الأمير لا يجمل به أن ينادي بالسفور، فنظم قصيدته (بين الحجاب والسفور)، وفيها يقول[2]:

صدّاح يا مـــــلك الكنـــا *** ر، ويا أمير البلبـــــــل
بالرغـــــم مني مـــا تُعا *** لج في النحاس المقفـــل
حرصي عليك هوى ومـــن *** يحرز ثميناً يبخـــــــل
صبراً لما تشقـــــــى بـــه *** أو ما بدا لك فافعـــــــل
أنت ابن رأي للطـــــــبيـ *** ـــــعة فيك غير مبدل
أبداً مروع بالإيســـــــــا *** ر، مهدد بالمقتـــــــــل
إن طرت عن كنفي وقعـــــ *** ـت على النسور الجهـل

في هذه الأبيات يخاطب (شوقي) طائر الكنار الجميل الذي يعيش في قفص من نحاس متلهبا بغنائه وصداحه، وهو مستبقيه فيه حرصاً منه عليه، مع علمه أنه جعل له هذا القفص من ذهب، وأمن له كل مباهج الحياة ما رضاه ذلك؛ لأن شهد الحياة مع العبودية مثل الحنظل، ولكنه رغم كل ذلك يدعوه إلى التصبر والانصياع لرأي الطبيعة فيه، فلا يغادر قفصه، وإلا وقع على النسور الجهل.

أول ما نلحظه في هذه الأبيات الرمز في (ياملك الكنار) فقد استخدمه الشاعر رمزاً للمرأة مستفيداً من صفة هذا الطائر، وهي الحبس، لما تلقاه

---

(١) ينظر: في الأدب الحديث تأليف/ عمر الدسوقي ٢/٢٠٧، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الناشر/ دار الفكر العربي.

(٢) ينظر: الشوقيات ١/١٧٦.

المرأة، من ذل القيد في البيت والحجاب، وهذا إعلان من الشاعر بالتعاطف مع هذه المرأة، ولكنه في نفس الوقت نصحها بالتعقل في دعواها ومطالبها التحررية ساعياً إلى التوسط في الأمور، ومن ثم عدم المجاهرة بتأييد السفور مخافة القصر.

وتعلو نغمة الشاعر فيأتي بالمصدر نيابة عن فعل الأمر في قوله: (صبراً)، والغرض منه النصح والإرشاد، فهو ينصح المرأة بالصبر على هذا القيد حتى وإن كان فيه مشقة عليها.

وفي قوله: (أبداً مروع بالإيسار) ظرف زمان للتأكيد في المستقبل يدل على الاستمرار، فهو دائماً مهدد بالأسر والقتل إن خرج من قفصه، فكذلك المرأة مهددة بالأسر إن خرجت عن حجابها.

ثم ختم الأبيات بأسلوب الشرط؛ ليوضح الكثير من المعاني التي يقصدها والدلالات الرمزية التي امتلأت بها تلك الأبيات، فيقول: (إن طرت عن كنفي)، فهنا يخاطب المرأة التي كنى عنها بالطائر بأنها إن حدث وطارت عن هذا القيد وقعت على النفوس الشريرة، وفي هذا نصح لها بأن هذا القيد وهو الحجاب أهون عليها من الحرية التي تريدها.

ونراه في قصيدة أخر يرثي (قاسم أمين) ويعترض على دعواه بصعوبة الحجاب، فيقول[1]:

ماذا رأيت من الحجاب وعسره *** فدعوتنا لترفق ويسار

رأي بدا لك لم تجده مخالفا *** ما في الكتاب وسنة المختار

---

(١) ينظر: الشوقيات ٧٨/٣، والأبيات من قصيدة في رثاء (قاسم أمين)، ومطلعها:

يا أيها الدمع الوفي بدار *** نقضي حقوق الرفقة الأخيار

والباسلان: شجاع قلب في الوغى *** وشجاع رأي في وغى الأفكـــار
أوددت لـــو صارت نساء النيل ما *** كانت نساء (قضاعة) و (نــزار)
يجمعن فـــي سلم الحياة وحربها *** بأس الرجال وخشية الأبكـــار
إن الحجاب سماحـــــة ويسارة *** لولا وحوش في الرجال ضواري
ثجهلوا حقيقته وحكمة حكـمـــه *** فتجاوزوه إلى أذي وضـــرار

في هذه الأبيات يخاطب الشاعر (قاسم أمين) ويسـأله عـن سـبب صعوبة الحجاب، وماذا رأى هو من هذه الصعوبة، ثم يوضح له أن الإنسان الشجاع إما أن يكون شجاع في الحرب، أو شجاع في الأفكار، فهل شجاعته هذه في رأيه بالحجاب يريد بها نساء المشرق تصـبحن كنسـاء القبائـل العربية أيام الجاهلية مثلهن مثل الرجال.

ثم يعود (شوقي) فيوضح رأيه في الحجاب بأنه من مستلزمات المرأة وضرورة تتميز بها عن الرجل، لولا التعسف الذي يرافق فرضه في الأسر الشرقية.

أول ما نلحظه في هذه الأبيات أسلوب الاسـتفهام الـذي لجـأ إليـه الشاعر في رثاءه لـ (قاسم)، وذلك في قوله: (ماذا رأيت)، وكأنـه يسـأل إنساناً حياً؛ وما ذلك إلا جذب للسامع وإثارة لذهنه، وتشويقه لتلك القضـية الهامة.

ويستمر الشاعر في خطابه لـ (قاسم) واعتراضه على دعواه حتـى تسيطر عليه العاطفة وحدة الانفعال، مما جعله يسترجع حال المرأة العربية التي يريد (قاسم) بدعواه إلى التحرر أن تصير نساء النيـل مثلهـا، فهـن تجمعن بين شجاعة الرجال وخوف الأبكار، وهذا مما يمثل نقطة ضغط من الشاعر على نفسه، ليرفض تلك الدعوى بخلع الحجاب الـذي تتـزين بـه

المرأة في الإسلام.

كما أن في الطباق الذي استعان به الشاعر في قوله: (سلم الحياة وحربها) وقوله: (بأس وخشية)، ما يزيد المعنى وضوحاً وقوة، فهذه المتضادات جاءت في نسق يثير الانتباه إلى الفكرة، فتزداد وضوحاً، كما أنها تكسب الكلام جرساً موسيقياً ترتاح له الأذن.

ويأتي الأسلوب الخبري عند الشاعر في قوله: (إن الحجاب سماحة ويسارة)، ليفيد التقرير والتوضيح، فهو يتحدث عن حقيقة واقعة لا مجال للشك فيها، وهي أن الحجاب أمر يسير، فهو من مستلزمات الأنوثة للمرأة، لولا التعسف الذي في فرضه عليها.

هذا هو موقف (شوقي) تجاه قضية الحجاب، فهو يرفضه مؤيداً دعوى (قاسم)، ولكنه يخشى التصريح مخافة القصر، فيدعو له بعيداً عن هواه ورغبته، ولكن هذا الموقف يتضح بعد عودته من المنفى، فلم يعد يخشى الجهر برأيه، بعد أن رأى التحرر الذي وصلت له المرأة، وصار السفور حقيقة واقعة، بانتشار مدارس البنات، والمساواة بينهن وبين البنين في التعليم، واختلاطهم بهم في قاعات الدرس، وقد صادف هذا هواه[1]، فانطلق بشعره يؤيد هذا السفور، فنراه يقول[2]:

فقل للجانحين إلـــــى حجاب *** أتحجب عن صنيع الله نفس؟

---

(١) ينظر: في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ٢٠٧/٢.

(٢) ينظر: الشوقيات ٥٢/٢، والأبيات من قصيدة بعنوان (كوك صُو) وهو موقع جبل في الأستانة، ومعنى اللفظين (ماء السماء)، ومطلعها:

تحية شاعر يا ماء (جسكو) *** فليس سواك للأرواح أنس

إذا لم يستر الأدب الغـــواني *** فلا يغني الحرير ولا الدِمقس
تأمل هل ترى إلا جـــــلالاً *** تُحِس منه ما تحـــــــس
كأن الخُود[1] (مريم) في سفور *** ورائيها حواري وقـــــس
تهيبها الرجال فـــــلا ضمير *** يهم بها ولا عين تحـــــس

في هذه الأبيات أعلن الشاعر صراحة رفضه للحجاب، فتوجه بالسؤال إلى هؤلاء الذين يدعون للحجاب، ويتعجب من دعواهم هذه التـــي تحجـــب صنيع الله –عز وجل –، ثم يوضح لهم رأيه في ذلك بأنه إذا لم يستر الأدب المرأة، فلا يسترها حرير ولا غيره من أنواع الثياب، ويضرب لذلك مثـــال بالسيدة (مريم) بأنها على الرغم من عدم حجابها إلا أنها لحســـن خلقهـــا يهابها الرجال.

استهل الشاعر أبياته بأسلوب الاستفهام، فهو يقف حائراً من هـــؤلاء الذين يدعون للحجاب، ويتعجب منهم، فهم يريدون حجب صـــنيع الله عـــن خلقه، والتعجب هنا ظاهر من خلال صـــيغته الســـماعية وهـــي التعجـــب بالاستفهام في قوله: (أتحجب)، وهذا يدل على مقدرة الشاعر الفنية، وعمق خياله، الذي كسر به القواعد المعتادة، والحقـــائق الثابتـــة، فأثـــار انتبـــاه سامعه.

ثم يعود للاستفهام مرة أخرى، في قوله: (هل ترى إلا جلالاً)؛ ليؤكد أن المرأة حجابها في أدبها وأخلاقها، فبلغ درجة الارتقاء بخيالـــه لحظـــة التجلي والكشف؛ وذلك لأنه ذكر قرائن تدل على حال المقام الذي هو فيـــه في قوله: (جلالاً)، فالأدب هو الذي يجعل للمرأة جلالاً ووقاراً لا الحجاب.

---

(١) الخود: جمع خودة وهي : المرأة الشابة (ينظر: الشوقيات ٢/٥٣).

ثم يؤكد الشاعر دعواه بأن الأدب هو الذي يحقق المهابة والجلال للمرأة، واستدل على ذلك بالسيدة (مريم) التي على الرغم من عدم حجابها، إلا أن كل عين تراها تهابها وتوقرها.

ثالثاً- الدعوة إلى العمل:

لا شك أن العمل وإنشاء العديد من المرافق يمثل دفعة قوية في بناء المجتمع، ودفع عجلة التطور والنهوض، التي تسعى لها أي أمة تريد التقدم والرقي.

لذا كان لزاماً على شباب كل أمة تهيئة أنفسهم لحمل تلك المسئولية، والقيام بها، ولا يكون ذلك إلا بالعمل المثمر البناء.

وانطلاقاً من حرص (شوقي) على نهضة مجتمعه وتقدمه حمل على نفسه لواء الدعوة إلى العمل واستنهاض همم العمال للالتحاق بالمصانع والمعامل وشتى المرافق والعمل فيها بكل جهد وإخلاص، حرصاً منهم على مصلحة المجتمع والمنتمين إليه.

ومن النصوص التي تكشف لنا عن دعوته إلى العمل، قصيدته (أيها العمال)، ففيها دعا (شوقي) للعمل وحث على اتقانه، كما أنه استنهض الهمم للاجتهاد في طلب الرزق، فمثلاً نراه يقول في الحث على العمل[1]:

أيها العمال افنوا الـــــ *** ـــعمر كدا واكتسابا
واعمروا الأرض فلــولا *** سعيكم أمست يبابـــا
إن لـــي نصحاً إليكــم *** إن أذِنتم وعتابـــا
في زمـــــان غَبِيَ النا *** صح فيه أو تغابـــى

(١) ينظر: الشوقيات ٩٠/١

أين أنتم مـــــن جـــدود *** خلدوا هذا التـــراب
قلدوا الأثر الـمعـــــــــــ *** ـــجز والفن العجابا
وكسوه أبد الدهـــــــــــ *** ـر من الفخر ثيابـا

في هذه الأبيات يخاطب (شوقي) العمال، طالباً منهم الجد في العمـل؛ لأنه بالعمل يستطيعوا أن يعمروا الأرض، فلولا العمل لصارت الأرض مقفرة مجدبة، فهذا نصحه لهم في زمن تغافل فيه وتغاضى الناصحون.

ثم توجه لهم بالسؤال عن موقفهم تجاه تراث أجدادهم الذين حرصوا على تخليده لهم، وأمرهم بتقليد هذا الأثر المعجز ليكون لهم مجـد وفخـر على مر الزمن.

بدأ الشاعر قصيدته بأسلوب النداء في: (أيها العمال)، والغرض منه التنبيه والتعظيم.

ثم نرى كثرة أفعال الأمر في (افنوا، اعمروا، قلدوا)، للحث والحـض على ضرورة الاستجابة.

كما نلمح الطباق في البيت الثاني بين (اعمروا، يبابا)، هذا الطبـاق يوضح المعنى ويؤكده للمتلقي.

كما سيطرت على الأبيات الأساليب الإنشائية، لتقرر المعنى، وتزيـد في الإقناع.

ونراه يقول في الحث على اتقان العمل[1]:

اتقنوا يحببكم اللـــــــــ *** ـه ويرفعكم جنابـــا
أرضيتم أن تُرى (مصـــ *** ـــر) من الفن خرابا

(١) ينظر: الشوقيات ١/ ٩٠.

بعـــــــــــد ما كانت سماء *** للصناعات وغابا

في هذه الأبيات يدعو الشاعر العمال إلى اتقان العمل؛ لأنه سبب في محبة الله، ثم يثير وطنيتهم فيسألهم هل يرضون أن تسير بلادهم خرابا بعد أن عرف العالم حضارتها وتقدمها في الماضي، وبعد أن كانت مصر لها مكانة عالية للصناعات.

بدأ الشاعر الأبيات بأسلوب الأمر، فقال: (اتقنوا) والغرض منه الحث على اتقان العمل.

وفي قوله: (يرفعكم جنابا) تعبير يؤكد على علو مكانة الإنسان إذا اتقن عمله.

ثم يأتي بالاستفهام في قوله: (أرضيتم)، الذي يفيد النفي، لأنه لا أحد يرضى بإهمال العمل الذي يؤدي إلى الخراب.

وفي قوله: (للصناعات وغابا) تعبير يؤكد به على مكانة (مصر) العالية في الصناعة، مما يزيد من قيمة العمل.

ونراه يقول في بيان اجتهاد العمال في طلب الرزق[1]:

أيها الغادون كالنحـــــــــــــل *** ارتياداً وطلابـــــا

في بكور الطير للـــــــــــرز *** ق مجيئاً وذهابـــــــا

اطلبوا الحـــــــــــق برفـق *** واجعلوا الواجب دابـــــا

واستقيموا يفتـــــــــــح الله *** لكم بابا فبابـــــــــــا

في هذه الأبيات يصور الشاعر العمال في نشاطهم وحيويتهم بصورة النحل في عملها الدؤوب، ثم يطلب منهم أن يكونوا مبكرين في عملهم

(١) ينظر: الشوقيات: ٩١/١.

كالطير التي تطلب رزقها ذهابا وإيابا، كما يطلب منهم أن يطلبوا الحق برفق ولين لا بعنف وشدة، وأخيراً يطلب منهم أن يسيروا في طريق الهدى والاستقامة، حتى يفتح الله لهم أبواب الرزق.

بدأ الشاعر أبياته بهذه الصورة التشبيهية الرائعة، فقد شبه العمال بالنحل في جده وعمله الدؤوب، كما شبههم وهم ذاهبون إلى عملهم بالطيور الباكرة، هذا التصوير الحسي نقل لنا عاطفة الحب والتقدير للعمل والعمال التي يحسها الشاعر.

ثم يأتي بأسلوب الأمر في قوله: (اطلبوا، استقيموا)، والغرض منه النصح والإرشاد، فهو ينصحهم بطلب الرزق برفق ولين، كما ينصحهم بالاستقامة حتى ينالوا رضا الله، فيفتح لهم أبواب الرزق.

هكذا بين لنا (شوقي) بحسه العاطفي الصادق قيمة العمل، الذي هو أساس بناء المجتمع واستقراره، كما أنه في اتقانه نيل لرضا الله ومحبته.

المبحث الثاني
اجتماعيات معروف الرصافي
أولاً-التعريف بالرصافي.
ثانياً- شعره الاجتماعي.

أولاً: التعريف بالرصافي:

نسبه ومولده:

معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافي، شاعر العراق في عصره، أصله من عسرة الجبارة في كركوك، ويقال إنها علوية النسب، ولد ببغداد عام (١٨٧٥م)، ونشأ بها في (الرصافة)(١).

نشأته:

نشأ في أسرة فقيرة، لأب كردي وأم عربية، فلم يكن يحب والده الذي كان فيه حدة في الطبع، وكان متديناً جداً، ولما كان صغيراً كان يغضب عندما يقال له: أنك كردي، وكان يبكي أحياناً.

وقد توفي والده قبيل الحرب العامة، وقد عاش حوالي السبعين سنة، أما والدته فلم تعمر كثيراً، بل كانت تناهز الستين عندما توفيت.

ولما كان فقيراً كان يشعر بضنك العيش فيصادف أحياناً أن طعامهم لم يكن غير الخبز والخيار(٢).

تعليمه:

يقول الرصافي عن نفسه: أرسلتني أمي مبكراً إلى الكُتاب وكنت في الثالثة من عمري، وبعد ذلك انتقلت إلى مدرسة في الحيدر خانة كانت تدعي مدرسة (الملابايزر) ثم انتقلت إلى مدرسة في محلة الميدان تدعي

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي (ت:١٣٩٦هـ) ٢٦٨/٧، ط٥: ٢٠٠٢م، الناشر/ دار العلم للملايين، ومعجم المؤلفين ٣٠٦/١٢.

(٢) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين د/ يوسف عز الدين ص٦٤، الناشر/ مكتبة أسعد- بغداد، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

مدرسة (منيف أفندي، وقد أتممت القرآن في هذه المدرسة، ولما انتهينا كان عمري التسعة أو العشرة سنين.

ثم ذهبت إلى مدرسة (الحاج حسن الأفغاني)، التي كانت مخرجاً لمدرسة (الرشدية العسكرية)، التي كانت بالنسبة لي حياة جديدة فالملبس مختلف عن المدارس الأهلية، حيث أصبح زي هو زي (الأفندية)، ولكني رسبت في الصف الثالث في هذه المدرسة في درس الحساب، فخرجت منها والتحقت بإحدى المدارس العلمية، وهي مدرسة (الحيدر خانة) وكان يقوم بالتدريس فيها (شكري أفندي الآلوسي)، الذي أولاني اهتماماً، فقرأت عليه (قطر الندى) لابن هشام، وحفظت متنه، ثم درست (ألفية ابن مالك)، التي كانت سبباً أن احفظ الكثير من الشعر العربي، وما كدت أصل إلى حفظ نصف الألفية حتى صرت أقلد أبيات الألفية، فأنظم أبياتاً من الرجز مثلها[1].

شعره:

أقام الرصافي دولة للشعر في القرن العشرين، وخلد اسمه بين الشعراء الأفذاذ كالفرزدق، وجرير، وأبي تمام، والمتنبي، فسارت قصائده مسير الأمثال في الأقطار العربية، وسحرت أجيالاً من شداة الأدب.

حينما أُلفت الحكومة الوطنية في العراق لأول مرة منذ العهد العباسي، وأسند العرش إلى الملك (فيصل الهاشمي)، فأراد إشراك أتباع المذهب الشيعي، الذي كان بمعزل في العهد التركي، ولكنه لما وجدهم لا يليقون للمناصب الوزارية، دعا بعض رجال الدين، مما أغضب الشعراء من أهل السنة، الذين لم يلوا من المناصب سوى التدريس، وكان ذلك مدعاة

(١) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين صـ٥٨:٦٣.

لتذمر (الزهاوي والرصافي) وأمثالهما، الذين نفسوا على زملائهم من الشيعة مناصبهم الوزارية.

شعر الرصافي أكثر من سواه باستهانة الملك والحكومة، لعدم منحه ما يستحق من التبجيل والإكرام، ومع أنه ظل يمدح ويرثي في كل مناسبة عرضت عليه، فإنه لم يترك التذمر والتمرد حين يجتمع بأصحابه وأخصائه.

وما هذه النقمة وذلك التمرد سوي مظهر من مظاهر العبقرية التي تعتقد أنها مستهان بأمرها غير جائزة للتقدير، ولكن الحكومة لم تغفل أمره فقد عينته مفتشاً بوزارة المعارف، وأستاذا بدار المعلمين، ثم انتخبته نائباً في مجلس النواب على الرغم من معارضته وتركه (بغداد) إلى بلدة (الفلوجة).

لقد كان الرصافي كغيره من الشعراء متردداً بين السلب والإيجاب يرضى حيناً، ويغضب أحياناً لدواع نفسية وظروف طارئة، مفيداً من الفرص العارضة وناقماً عليها، ضائقا بها ذرعاً في آن واحد.

كان الرصافي يعاف الذل، ويأبى الاستعباد، ويكره الاستعمار، وقد ترك الكثير من القصص الشعرية التي استوحى مواضيعها من البيئة العراقية المحلية[1].

(١) ينظر: أعلام الأدب في العراق تأليف/ مير بصري، تقديم: د/ خليل العطية ١/١٠٤:١٠٦، طـ١: ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، الناشر/ دار الحكمة.

آثاره:

ترك الرصافي أثاراً كثيرة تدل على خصوبة ذهنه، وسعة اطلاعه، فترك لنا:

-ديوان الرصافي.

-نفح الطيب في الخطابة والخطيب.

-دروس في آداب اللغة العربية، وهو مجموعة من محاضرات ألقاها على طلابه في دار المعلمين.

-رسائل التعليقات.

-على باب سجن أبي العلاء.

-الشخصية المحمدية.

-مجموعة الأناشيد المدرسية.

-نحو اللغة العامية العراقية.

-رواية الرؤيا.

-دفع الهجنة في ارتضاح اللكنة.

-محاضرات الأدب العربي.

-كتاب الآلة والأداة.

-آراء في أبي العلاء.

-في عالم الذباب[1].

---

(١) ينظر: معروف الرصافي (دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية) تأليف/ بدوي طبانة، صـ٢١٦،٢١٧، طـ١: ١٣٦٦- ١٩٤٧م، الناشر/ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

وفاته:

فاضت روحه الكريمة يوم الجمعة ١٦ آذار (١٦٤٥هـ)، مارس (١٩٤٥م)، توفي وحيداً في الدار التي كان يسكنها في (الأعظمية) ضواحي بغداد، مع خادمه (عبد بن صالح)، الذي لزمه أمداً غير قصير، وكانت تربط الرصافي بهذا الخادم الوفي والتابع الصفي روابط العطف والحنان، وكانت منزلته من سيده منزلة الابن من أبيه، وإنك لتقرأ الوصية التي كتبها الرصافي بخط يده فلا ترى إلا إشادة بهذا الخادم الأمين الذي أوصى له بكل ما خلف من عصارة ذهنه وسلافة عبقريته في سطوره وكتبه، أن يكون ريعها لهذا الخادم(١).

ثانياً- شعره الاجتماعي:

إن المتأمل في ديوان (الرصافي) يلحظ أن الشعر الاجتماعي من الموضوعات التي حرص عليها، فجاءت غرضاً مستقلاً عنده تحت عنوان (الاجتماعات)، بخلاف (شوقي) الذي جاء شعره الاجتماعي ممزوجاً بغيره من الأغراض.

لقد عانى (الرصافي) هموم وطنه العراق، وما ابتلي به من جور وظلم حكامه، مما جعله يحرص على طرح كل ما يأخذ بيد العراق والعراقيين من أسباب التقدم والتطور، فراح يستنهض الشعب، ويبث فيه العزم والإقدام؛ لتغيير واقعه.

كما شغلته المرأة بهمومها، وتضييق المجتمع عليها، فحرص على

---

(١) المرجع السابق صـ٤٣، ٤٤.

معالجة قضاياها، وطرح همومها بمعالجات فنية تدفع المجتمع إلى الأمام.

كما أن الفقر الذي هو آفة المجتمع قد عانى منه (الرصافي)؛ بسبب الظلم والفساد والجمود في التعليم، فحمل على عاتقه طرح مشكلاته، والوقوف بجانب الشعب، ومشاركته همومه وطموحاته.

وسأقف فيما يأتي على عرض وتحليل عدة نماذج من شعره الاجتماعي، التي اتفق فيها مع (شوقي)؛ لتكشف لنا وعيه وتفاعله مع هموم مجتمعه، وطريقة عرضه للمشكلة، كمحلل اجتماعي حاذق، ومن أهم تلك النماذج ما يأتي:

أولاً- الدعوة إلى نشر العلم والحث على طلبه:

لقد اهتم الرصافي بالعلم وحارب الجهل الذي هو سبب التخلف والجمود، فتناول في دعوته إلى العلم عدة محاور منها: الدعوة إلى العلم والأخلاق فلا علم بدون أخلاق، بيان فضل العلم، محاربة الجهل وذمه، والدعوة إلى بناء المدارس، فنراه مثلاً يقول في الدعوة إلى العلم والأخلاق، إذ لا علم بدون أخلاق[1]:

وليس الغني إلا غنى العلم إنه *** لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً *** إذا نكبت أخلاقهم عن مناره
وما العلم إلا النور يجلو دجى العمي *** ولكن تزيغ العين عند انكساره
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً *** وإن كان بحراً زاخراً من بحاره

في هذه الأبيات ينفي الشاعر أن يكون الغِنى بغير علم، ويؤكد على

(١) ينظر: ديوان الرصافي للرصافي، مراجعة/ مصطفي الغلاييني، صـ٦٩، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٢م.

أن العلم للفتى هو النور الذي يزيل به ظلام فقره، وكذلك فهو يحذر من مظنة أن يكون العلم هو المنجي بدون أخلاق، ففساد الأخلاق يتنافى مع العلم، حتى وإن كان هذا الفاسد بحراً في العلم.

خيم أسلوب النفي والاستثناء على تلك الأبيات حتى صار وسيلة الشاعر المعبرة عن رفضه واعتراضه بأن يكون الغني بغير علم أو يكون علم بدون أخلاق.

ولننظر إلى براعة الشاعر في رسم صورة العلم في قوله: (وما العلم إلا النور)، فهو يشبه العلم بالنور الذي يزيل ويبدد عمى القلب، فهو تشبيه بليغ.

وإلى جانب بلاغة التشبيه تظهر بلاغة القصر في قصر العلم على النور.

كما شبه الجهل بالعمى، في قوله: (يجلو دجى العمى) على سبيل الاستعارة التصريحية.

ثم يعود فينفي الفلاح بالعلم لفاسد الأخلاق حتى وإن كان هذا الفاسد بحراً زاخراً في العلم.

ونراه في قصيدة أخرى يوضح فضل العلم، فيقول[1]:

كفي بالعلم في الظلمات *** يبين في الحياة لنا الأمورا
فكم وجد الذليل به اعتزازا *** وكم لبس الحزين به سرورا
تزيد به العقول هدى ورشداً *** وتستعلي النفوس به شعورا

(١) ينظر: ديوان الرصافي للرصافي،صـ٨٩، والأبيات مطلع قصيدة بعنوان (إلى أبناء المدارس).

في هذه الأبيات يدعو الشاعر أبناء المدارس إلى طلب العلم، فيوضح لهم فضل العلم وأنه يكفي في بيان فضل العلم أنه يبين لهم الأمور الكثيرة في الحياة، فكم ذليل صار به عزيزاً، وكم حزين صار به مسرورا، كما أن العقول تزيد به هدى ورشاد وتعلو به النفوس أجمعها.

أول ما يطالعنا في الأبيات، الإبهام في البيت الأول، وذلك في كلمة (الأمورا)، فالشاعر هنا يبهم ولم يوضح للمتلقي تلك الأمور، وهذا إبداع من الشاعر؛ حتى يترك نفس المتلقي تذهب في التفسير كل مذهب.

لجأ الشاعر هنا إلى تكثيف رؤيته الشعورية في بيان فضل العلم على البشرية، فاستخدم كلمة (كم) الخبرية مرتين الدالة على التكثير.

كما يأتي الطباق فيزيد الصورة إيضاحاً، فبين (الذليل، واعتزازا، وبين الحزين، والسرور) طباق إيجاب يوضح المعنى ويقربه.

ونري الرصافي وهو يبين فضل العلم يذم الجهل، ويصرح بأن الجهل موت، فنراه يقول[1]:

أنت يا جاهـــــــــل من قبل الممات *** ميت يمرح ما بين البيوت

أو مـــــــــا تعلم في هذي الحياة *** أن رب العلم حي لا يموت

في هذين البيتين يخاطب الشاعر الجاهل، ويؤكد له حقيقة غائبة عنه، وهي: أنه ميت من قبل أن يحين وقت مماته، فهو بجهله إنسان ميت بين الأحياء، كما يؤكد له أن صاحب العلم حي بعلمه حتى وإن مات ووراه

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي للرصافي،صـ١٠٧، والأبيات من قصيدة بعنوان (إلى الشبان)، والتي ألقاها يوم افتتاح المنتدى الأدبي الذي أسسه شبان العرب في الأستانة ومطلعها: أدب العلم وعلم الأدب *** شرف النفس ونفس الشرف

التراب.

حرص الشاعر في هذين البيتين على استعمال ضمير المخاطب بنبرته الاستعلائية في قوله: (أنت ياجاهل) بأسلوب خبري تقريري فكأنه يخاطب هذا الجاهل، ويقرر له حقيقة غائبة عنه وهي أنه بجهله ميت بين الأحياء.

كما لجأ الشاعر لأسلوب التوكيد في قوله: (أن رب العلم حي) ليؤكد تلك الحقيقة الغائبة عن كثير من الجهلة فاقدي العلم والمعرفة.

وفي طريق دعوته للعلم وبيان فضله، وذم الجهل وأهله، يُجْمل لنا دعوته بالحث على بناء المدارس فهي أساس تعليم النشيء، فنراه يقول(١):

ابنوا المدارس واستقصوا بها الأملا *** حتى نطاول في بنيانها زحلا

جودوا عليها بما درت مكاسبكم *** وقابلوا باحتقار كل من بخلا

إن كان للجهل في أحوالنا علل *** فالعلم كالطب يشفي تلكم العلل

سيروا إلى العلم فيها سير معتزم *** ثم اركبوا الليل في تحصيله جملا

في هذه الأبيات يأمر الشاعر ببناء المدارس، فهي الأمل وهي الغاية لمن يريد أن يطاول الكواكب، كما يحث على استثمار مكاسب البشرية في بناء المدارس فهي التي تعود بالنفع، ويدعو الجميع إلى احتقار من يبخل بماله لبناء المدارس، كما يبين أن العلم طب يشفي من جميع الأمراض، ويأمر بالسير إليه، ويحث هؤلاء إلى سرعة السير إليه، ليبلغوا الغاية.

أول ما نلحظه في هذه الأبيات هيمنة أسلوب الأمر في (ابنوا، جودوا، قابلوا، سيروا، اركبوا)، فهذه أفعال أمر تدل على الحث والحض على طلب

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي للرصافي، صـ١٣٥، والأبيات مطلع قصيدة بعنوان (المدارس ونهجها).

العلم، فهو الغاية المرجوة وهو المكسب المنشود.

ويتجلى التشبيه الذي يزيد الصورة إيضاحاً، ويبين مراد الشاعر، حيث شبه العلم بالطب الذي يشفي جميع العلل ومنها علة الجهل.

وتظهر الاستعارة في البيت الرابع في (اركبوا الليل)، فهذا التجسيد والتشخيص يبث الحيوية ويبعث الهمة.

ونري إيثار الشاعر في استخدام لفظ (جملا)، وجعله هو السبيل الموصل للعلم، لكون الجمل معروف بالصبر وقوة التحمل، وبلوغ الغاية.

ثانياً- قضايا المرأة:

لقد اهتم (الرصافي) بقضايا المرأة اهتماماً فاق به (شوقي)، فقد أفرد لها في ديوانه باباً سماه (النسائيات)، دعا فيه إلى تحريرها، وطالب بمساواتها بالرجل؛ وذلك لما رأي من المجتمع العراقي التضييق على المرأة والمبالغة في تشديد الحجاب عليها، "فهناك تقاس عفة المرأة بمقدار تشددها في التستر واعتكافها في البيت، فإذا أراد الناس وصف فتاة عفيفة قالوا عنها: (إنها بنت بيت لم ير أحد أصبعا منها ولم يسمع لها صوت)، وكانوا يقولون أن للمرأة حقاً في الخروج من دارها مرتين طول عمرها، المرة الأولى: عندما تزف إلى زوجها، فتذهب من دار أهلها إلى داره، والمرة الثانية: عندما تموت فتخرج جنازتها من البيت إلى القبر !"[1].

لهذا عمل (الرصافي) على نصرة المرأة والمطالبة بحقوقها المسلوبة، بل وصرح بحريتها ونادى بسفورها متفقاً مع (قاسم أمين) في

---

(١) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي د/ علي الوردي صـ٢٧٩، ٢٨٠، الناشر/ دار الوراق للنشر ٢٠٠٧م.

دعواه.

هذا إلى جانب اهتمامه بها في هذا الجزء المخصص لاجتماعياته مجال بحثي، فقد جعل معاناتها وتحملها تبعات الحياة محور اهتمامه في هذا الجزء، فمثلاً نراه يبدأ بالحديث عن (أم اليتيم)، فنراه يقول[1]:

رمت مسمعي ليلاً بأنة مؤلـــــم *** فألقت فؤادي بين أنياب ضيغم

وباتت توالي فـــي الظلام أنينها *** وبتُّ لها مُرمي بنهشة أرقم[2]فيهفو

بقلبي صوتها مثلما هفت *** بقلب فقير القوم رنّة درهم

إذا بعثت لـــي أنة عن توجـــــع *** بعثت إليها أنة عن ترحم

يحدثنا الشاعر في هذه الأبيات عن سماعه لأنين تلك المرأة التي رمت مسمعه بأنينها وحزنها، وكيف خفق قلبه لهذا الحزن وهذا البكاء، فكل أنة تبعثها له عن توجع، يقابلها هو بأنة ترحم على تلك الحزينة البائسة.

تظهر براعة الشاعر في نقلنا لجو مأساوي حزين، وحدد لنا زمانه بأنه كان (ليلاً)، ونكره؛ ليبعث في النفس الإثارة والتشويق لمعرفة هذا الليل وما يحدث فيه.

وتأتي الاستعارة لتشخص مدى حزنه، في قوله: (فألقت فؤادي بين أنياب ضيغم)، فبحزنها هذا قد ألقت قلبه بين أنيات أسد مفترس، وفي هذا تخييل ومبالغة لحالة الحزن التي هو عليها.

ثم تأتي الصورة الحسية المتمثلة في التشبيه، لتظهر لنا مدي

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٧١.

(٢) الأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس. (ينظر: ديوان الرصافي صـ٧١).

إحساسه بها، وسيطرة صوتها على مسمعه، فشبه تعلق قلبه بصوتها، بتعلق قلب الفقير بصوت الدرهم، وفي هذا دليل على شدة التأثر والإحساس بها.

ثم إن الألفاظ نفسها التي استعان بها الشاعر مشحونة بجو الألم والحزن والشجن، ومنها: (مؤلم، أنين، أنّة، توجع).

ويستمر الشاعر في رسم تلك المعاناة التي تعيشها (أم اليتيم)، فينتقل للبيت الذي تعيش فيه، فيقول[1]:

وبيت بكت فيه الحياة نحوسة *** ولاحت بوجه العابس المتجهم

به ألقت الأيام أثقال بؤسها *** فهاجت به الأحزان فاغرة[2] الفم

كأني أرى البنيان فيه مهدّما *** وما هو بالخاوي ولا المتهدم

ولكن زلزال الخطوب هوى به *** إلى قعر مهواة الشقاء المحسم

يصف لنا الشاعر هنا هذا البيت الحزين، الذي يضم اليتيم وأمه، وكيف أصبح منبع للحزن فقد ألقت الأيام بؤسها وحزنها عليه، حتى أن البيت من شدة الحزن كأنه مهدم البنيان، وهو ليس بمتهدم، ولكن الذي هوى به زلزال المصائب الذي هوى به في قعر الشقاء معنوياً ونفسياً.

يتجلى لنا عنصر التجسيم والتشخيص في هذه الأبيات، فقد صور الحياة بإنسان يبكي، وصور الحزن بإنسان يهجم فاتح فمه، هذا التجسيد جعل الصورة حية متحركة أمام المتلقي، مما يثير عطفه وشفقته تجاه تلك المسكينة البائسة.

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٧٢.

(٢) فاغرة: أي فاتحة. (ينظر: ديوان الرصافي صـ٧٢.

اختار الشاعر التعبير بالمصدر في قوله: (نحوسة، المتهجم، المتهدم، المحسم)؛ وهذا مما يعطي الشاعر مساحة للتحليق بخياله، ورسم حالة الحزن للمتلقي، وتظهر لنا مدى انفعال الشاعر بقضيته وتأثره بها.

كما أن اعتماد الشاعر على الأسلوب الخبري يوحي بالتقرير، والتأكيد على فكرته.

وفي اختيار الشاعر لفظة (زلزال)، وهي تلك الهزة الأرضية التي تنشأ للكرة الأرضية، وتسبب كوارث، دليل على براعة الشاعر في توضيح مدى تغير حال هذا البيت بعد فقد عائله، فكأن زلزال حزن هوى بأصحابه في درك الشقاء.

وفي إطار حديثه عن المرأة في اجتماعياته نراه يأتي بقصيدة تحت عنوان (المطلقة)، ليبث لنا فيها معاناة المرأة المطلقة، فنراه يقول[1]:

بدت كالشمس يحضنها الغروب *** فتاة راع نضرتها الشحوب

منزهة عن الفحشاء خود *** من الخفرات[2] آنسه عروب

(نوار) تستجد بها المعالي *** وتبلى دون عفتها العيوب

صفا ماء الشباب بوجنتيها *** فحامت حول رونقه القلوب

ولكن الشوائب أدركته *** فعاد وصفوه كدر مشوب

ذوى منها الجمال الغض وجداً *** وكاد يجف ناعمه الرطيب

أصابت من شبيبتها الليالي *** ولم يدرك ذؤابتها المشيب

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٣.

(٢) الخود: المرأة الشابة، والخفرات: المرأة التي تستحي. (ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٣).

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن حال المرأة المطلقة، وعن الحالة التي آلت إليها بعد الطلاق، وكيف أنها أصبحت كالشمس وقت غروبها في الشحوب والهزلان، وفي مقابل ذلك يأتي بحالتها قبل الطلاق وكيف أنها كانت تتمتع بصفات الجمال، الذي زال عنها بمجرد الطلاق وأصبحت يخيم عليها اليأس والشحوب.

المتأمل في هذه الأبيات يشعر بنبضات حية قوية لمشاعر إنسانية رقراقة تنبعث من الشاعر، وهو يصف حال تلك المطلقة التي صارت كالشمس وقت مغيبها، باهتة شاحبة لا نضرة فيها ولا رونق.

ففي التشبيه بالشمس ما يوضح الصورة ويقربها للمتلقي، لأن صورة الشمس قريبة معهودة.

وفي قوله: (نوار) إشارة إلى زوجة (الفرزدق) الشاعر الجاهلي، والتي طلقها ثم ندم بعد طلاقها أشد الندم، فهنا يشبه الشاعر حال تلك المطلقة في طهارتها وعفتها بـ (نوار) زوجة (الفرزدق).

أعانت الألفاظ الشاعر في توصيل ما يريد، من وصف حال المطلقة بعد الطلاق وقبله، فبعده اختار ألفاظ (الغروب، الشحوب، الشوائب، كدر)، وقبله اختار (منزهة، خود، نوار، صفا).

ولعل في استخدام الاستعارة ما يوضح انفعال الشاعر، فجاءت الصورة حية متحركة أمام المتلقي، ففي قوله: (حامت حول رونقه القلوب، الشوائب أدركته، ذوى منها الجمال) كلها استعارات تبعث الحركة، وتقرب الصورة للمتلقي.

وينتقل الشاعر في نفس القصيدة، ليذم هؤلاء الذين يخالفون شرع الله ويحكمون بوقوع طلاق الغضبان، وهو بذلك ينتصر لمذهب الإمام (ابن

القيم الجوزية) في كتابه (إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان)، فنراه يقول[١]:

ألا قل في الطلاق لِموقعيه *** بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلواً *** يضيق ببعضه الشرح الرحيب
أراد الله تيسيراً وأنتم *** من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بأمتكم كروب *** لكم فيهن لا لهم الذنوب

في هذه الأبيات يخاطب الشاعر هؤلاء المخالفين لشرع الله، ويعسرون على أمتهم، ويقضون بوقوع الطلاق وقت الغضب، ويتهمهم بالغلو في الدين، وأن معظم الكروب التي تحل بالأمة يعود الذنب فيها إليهم لا للأمة.

بدأ الشاعر الأبيات بـ (ألا) الاستفتاحية؛ للتنبيه وجذب السامع إليه؛ لأهمية ما يلقيه عليه.

ثم يأتي بالأمر (قل) بعد (ألا) مباشرة، ليأمر كل من يسمعه بأن يقول لمن يحكم بوقوع طلاق الغضبان، بأن ما قاله ليس من شرع الله.

وتأتي ألفاظه (غلوتم، غلواً، يضيق، التعسير، كروب، الذنوب) كلها أوصاف لهؤلاء المخالفين لشرع الله، تكشف لنا عن الجرم الذي ارتكبوه.

ثم ينتقل في الأبيات التي تلي تلك الأبيات، ليصرح لنا باسم (ابن القيم)؛ ليؤكد لنا مذهبه الذي يتبعه، فيقول[٢]:

دى ابن القيم الفقهاء كم قد *** دعاهم للصواب فلم يجيبوا

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٦.
(٢) ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٦،٩٧.

ففي إعلامه للناس رشـــد *** ومزدجر لمن هو مستــريب
نحا فيما أتاه طريق علـــم *** نحاها شيخه[1] الحبر الأريب
وبيّن حكم دين الله لكـــــن *** من الغالين لم تعه القلــوب
لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً *** لنا فيخيب منهم من يخيـــب

يتحدث هنا عن العلامة (ابن القيم)، وكيف أنــه كــان صــاحب رأي منصف وشديد، وكم دعا الكثير من الفقهاء للصواب، ولكنهم لــم يجيبــوا، فكان في إعلامه للناس رشد، وكم كان زاجراً ومانعاً لكل شاك في دينه، وقد نحا في ذلك منحى شيخه (ابن تيمية) العالم المبين لشرع الله، ولكن الكثير حاد عن طريقه، ولم يعي لقوله، فيترك الشاعر في النهاية الأمر لله فهــو القادر على أن يحدث في ذلك أمراً، فيخيــب ظــن هــؤلاء الحــادين عــن الصواب.

نلاحظ أن الشاعر هنا ركز على ألفاظ حسية تقوم على الكلام والفعل، كقوله: (دعاهم، إعلامه، مزدجر، نحا، بيّن)، فهي ألفاظ تفصح عن اجتهاد عالمين جليلين وهما (ابن القيم)، وشيخه (ابن تيمية) في تطبيق شرع الله، كما تعبر عن يقين وإحساس بالرسالة المكلفين بها.

كما استخدم الشاعر (قد) في قوله: (قد دعاهم) الداخلة علــى الفعــل الماضي؛ لتفيد تحقق الوقوع.

وتظهر براعة الشاعر في نقل شعوره النفسي، وأمنيته التي تنتصــر لمذهبه، ومذهب أئمته، وذلك من خلال تفويضه الأمر لله، فهو القادر على

---

(١) أراد بشيخه هنا: الإمام أحمد بن تيمية –رحمــه الله– (ينظــر: ديــوان الرصــافي صـــ٩٦.

إحداث ما يخيب ظن هؤلاء المعارضين؟

هكذا وظف الشاعر أبياته التي تحدث فيها عن المرأة توظيفاً فنياً، يفصح عن معاناتها، وما تقابله من ظلم، وقهر، وعدم إنصاف، فكأنه يصارح، ويتحدى، ويثور، ضد ضعفها، وهوانها، وسطوة المجتمع ضدها.

ثالثاً- الدعوة إلى العمل:

مثلما حرص (شوقي) على نهضة مجتمعه، ودعوته للعمل من أجل الارتقاء به، حرص (الرصافي)، فالشاعر المدرك لرسالته، هو من يهتم بمجتمعه ويدعو إلى كل ما يدفعه للتقدم والازدهار.

لقد أدرك (الرصافي) قيمة العمل، ودوره في بناء المجتمع، فدعا إليه، وحث العمال والشباب على الجد والاجتهاد، وبيّن لهم دورهم في الأمة، وأنهم بعملهم أساس تقدمها.

فنراه يدعو للعمل والجد، من أجل المستقبل، وعدم النظر للوراء، فيقول في قصيدته: (نحن والماضي)[1]:

أرى مستقبل الأيام أولـــــــي *** بمطمع من يحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصد غير ســـــاع *** يردد في غد نظراً سديـــداً
فوجه وجه عزمك نحـــــو آت *** ولا تلفت إلى الماضيين جيدا
وهل إن كان حاضـــــرنا شقيا *** نسود بكون ماضينا سعيداً
تقدم أيها العربي شـــــــوطاً *** فإن أمامك العيش الرغيـدا
وأسس في بنائك كل مـــــــجد *** طريف واترك المجد التليدا
فشر العالمين ذوو خمـــــــول *** إذا فاخرهم ذكروا الجدودا

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٦٤.

وخير الناس ذو حسب قديم *** أقام لنفسه حسباً جديداً

فالشاعر في هذه الأبيات يدعو للعمل من أجل التقدم، فالعمل من أجل المستقبل أولى لمن يحاول أن يسود، وليس بالاعتماد على مجد الأجداد، ثم يوضح أن شر الناس الكسالى الذين يعتمدون على مجد الماضيين، دون أن يصنعوا لأنفسهم مجداً يفخرون به، كما أن خير الناس هو من يجمع بين السيادة قديماً والسيادة الجديدة التي يصنعها بعمله وجده.

فالشاعر يدرك أن التقدم لا يكون إلا بالعمل، وصناعة الأبناء لمستقبل جديد لهم، لذا اختار من الألفاظ ما يحث على العمل، ومنها: (مستقبل، بمطمع، يسودا، المقاصد، ساع، عزمك، رغيدا، وغيرها).

كما أنه يشخص المستقبل بإنسان يراه أمامه حاول أن يسود، في قوله: (أري مستقبل الأيام) وهذا مبالغة منه في الإيضاح، وحث على الاستجابة.

ثم تأتي الصورة البصرية المجسدة التي استعان بها الشاعر في البيت الثالث، في قوله: (فوجه وجه عزمك نحو آت)، فالاستعارة هنا توضح الصورة أكثر وتقربها للمتلقي.

ثم يأتي الاستفهام في البيت الرابع في قوله: (وهل إن كان حاضرنا شقياً)، والغرض منه النفي، فهو ينفي السعادة لمن كان حاضره شقياً، حتى ولو كان ماضيه سعيد.

ثم يأتي بأفعال الأمر في قوله: (تقدم، أسس، اترك) للحث والحض على العمل والتقدم، وتأسيس المجد.

كما أن الشاعر في دعوته للعمل جعله هو الأساس في سعادة الأوطان، وتقدمها بين الدول، فنراه يقول في مطلع قصيدته: (الأمة العربية:

ماضيها وباقيها)[1]:

همم الرجـــــال مقيسة بزمانها *** وسعادة الأوطان في عمرانها
وأساس عمـــران البلاد تعــاون *** متواصل الأسباب من سكانها
وتعاون الأقوام ليس بحاصـــــل *** إلا بنشر العلم في أوطانهــا
والعلم ليس بنافـــــــع إلا إذا *** أجرت به الأعمال خيل رهانها

في هذه الأبيات يبين الشاعر أن همم الرجال هي التي بإمكانها سعادة أوطانها، وتلك الهمم لا تأتي ثمارها إلا إذا تعاونت فيما بينها، وهنا يــأتي دور العلم الذي دعا إليه من قبل، فالعلم هو الذي يحثهم على التعاون، كما أن العلم لا يكون نافعاً إلا إذا طبق بالعمل، فما قيمة العلم إذا لم تقوم عليــه الأعمال والتجارب، فالعمل لا يؤتي ثماره إلا بالعلم، فهو الذي عليه رهانها ونجاحها.

أتى الشاعر بلفظ (همم) جمعاً؛ لأن دعوته عامة، فالعمل والتقــدم لا يكونا إلا بعمل وهمم الجميع.

استعان بالمصدر (تعاون) وكرره مرتين؛ للمبالغة في التعبيــر عــن الحدث مجرد عن الزمن، فهو يريد التعاون بين الناس على مر الأزمان.

كما استعان بصيغة المبالغة في (متواصل) على وزن (متفاعل)؛ لتفيد المداومة والاستمرار في العمل، فهو يريد عمل متواصل غير منقطع.

وتأتي جملة (خيل رهانها)، أي أن الأعمال جعلت رهانها على العلم،

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـــ٢٠٠.

وهي جملة اشتقها الشاعر من المثل القائل: (هما كفرسي رهان)[١].

وتأتي قصيدة (إلى العمال) التي خصها بالعمال، فهم المخاطبون بالعمل والبناء، فبدأها بقوله[٢]:

كل ما في البلاد من أموال *** ليس إلا نتيجة الأعمال

إن يطب في حياتنا الاجتماعيـ *** ـة عيش فالفضل للعمال

وإذا كان في البلاد ثراء *** فبفضل الإنتاج والإبدالنحن

خلق المقدرات فيها *** لا حياة للعاطل المكسال

في هذه الأبيات ينتصر الشاعر للعمال، ويوضح أن ما تحصل عليه الأمة من أموال هو بسبب عمالها، وأن طيب الحياة عموماً يرجع الفضل فيه للعمال، كما أن الثراء لا يكون إلا بإنتاج العمال، لذا لا حياة للكسالى عن العمل.

بدأ الشاعر القصيدة بلفظة (كل)، وهي من ألفاظ التوكيد المعنوي؛ وذلك لتأكيد كلامه، ثم أتبعه بمؤكد آخر وهو النفي والاستثناء في (ليس إلا نتيجة الأعمال)، حيث قصر كل ما في البلاد من أموال على العمال، فالقصر هنا أيضا للتوكيد.

جاءت ألفاظ الشاعر توضح نتائج العمل، ومنها (أموال، عيش، ثراء).

وتأتي صيغة المبالغة في (مكسال) على وزن (مفعال، للمبالغة في

---

(١) مثل عربي يضرب للرجلين يتسابقان فيما يحمد. (ينظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) ٣٦٩/٢، الناشر/ دار الفكر- بيروت.

(٢) ينظر: ديوان الرصافي صـ٢٦١.

صفة هؤلاء الكسالى الغير عاملين.

ثم ينتقل الشاعر في تلك القصيدة للمناداة بالاشتراكية، ويجعلها مذهبه، فيقول(١):

إنما الحق مذهب الإشتراكيـ *** ـة(٢) فيما يختص بالأموال
مذهب قد نحا إليه أبو ذر *** قديما في غابر الأجيال
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا *** خطوة نحو مبتغاه العالي
مبدأ ذو مقاصد ضامات *** ما لأهل الحياة من آمال
موصلات إلى السعادة في العيـ *** ـش هواد إلى طريق التعالي
ليس للمرء أن يعيش بلا كأأد *** وإن كان من عظام الرجال
كل مجد يبنى على غير سعأأي *** فهو مجد مهدد بالـــزوال

في هذه الأبيات يدعو الرصافي للاشتراكية، ويجعلها مذهبه، ومذهب الحق والعدل في تقسيم الأموال، ويصرح بأنه يتبع في ذلك الإمام أبي ذر(٣)،فالزكاة في الشرع ما هي إلا خطوة للوصول للاشتراكية، فهذه

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٢٦١،٢٦٢.

(٢) الاشتراكية: مجموعة مفاهيم ومناهج تهدف إلى القضاء على الرأسمالية، وإقامة مجتمع أكثر كفاية وعدلاً وتحقيق المساواة بين الأفراد. (ينظر: موسوعة السياسة د/ عبد الوهاب الكيالي ١٩٧/١، الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، بدون طبعة وتاريخ.

(٣) إن اتهام أبي ذر بالاشتراكية مأخوذ من كلام (الزركلي) أثناء ترجمته له، وهو كلام غير صحيح فقد أنكرته كتب التاريخ، حيث قال: فسكن دمشق وكان ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فشكاه معاوية إلى عثمان -رضي الله عنه- فاستقدمه إلى المدينة، واستأنف نشر رأيه، فعلت الشكوى منه، فأمره سيدنا=

الاشتراكية هي التي تمنح المجتمع السعادة في العيش.

ثم ينفي أن يعيش الإنسان بغير كد وعمل حتى ولو كان من كبار الرجال وأعظمهم، فأي مجد في الأمة يبني بغير عمل وكد فهو مجد مهدد بالزوال.

استخدم الشاعر أسلوب القصر في قوله: (إنما الحق)؛ ليفيد التخصيص والتوكيد، فقد قصر الحق على مذهب الاشتراكية في توزيع الأموال، فقد أبان لنا عن مذهبه السياسي دون تردد.

وأكد اعتقاده بقوله: (قد نحا)،فـ(قد) تفيد التحقيق والتوكيد، وقرنها بالفعل الماضي، ليفيد تحقق الوقوع.

ثم يردف هذا بأسلوب قصر آخر في قوله: (ليس فضل الزكاة في الشرع إلا) بالنفي والاستثناء، وهذا القصر للتوكيد أيضاً على مذهبه، وأن

=عثمان بالرحلة إلى (الزبدة) فسكنها إلى أن مات.

(ينظر: الأعلام للزركلي ١٣٩/٢،١٤٠).

وهذا كلام غير صحيح، فقد صاغه الزركلي مما ورد في البخاري، أن أبا ذر كان يفسر آية من القرآن ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ.. ﴾ [التوبة جزء من الآية:٣٦٨]، قال: معاوية نزلت في أهل الكتاب، وقال أبي ذر: نزلت فينا وفيهم، فشكاه معاوية لعثمان، فاستقدمه للمدينة، ولما كثر عليه الناس، ذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت.

(ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)، ت/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم ٤٠٣/٣،٤٠٤، (باب: ما أُدي زكاته فليس بكنز)، ط٢: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، الناشر/ مكتبة الرشيد- الرياض).

هذا المذهب أساسه في الشرع الزكاة، فلا فضل للزكـــاة إلا أنهـــا خطـــوة للوصول لمبتغاه العالي وهو (الاشتراكية).

ويأتي باسم الفاعل في (موصلات)، نكرة؛ ليبين أن مبادئ الاشتراكية بكل مقاصدها هي الموصلة للسعادة الدائمة.

ويأتي في البيت الأخير بلفظ (كل)؛ لتوكيد كلامه، فكل مجد يبنى بغير سعي وعمل فهو زائل لا محالة.

وفي ختام القصيدة يخاطب العمال، ويحثهم على الاتحاد في العمـــل، فيقول(١):

أيها العاملـــــــــون إن اتحادا *** بينكم مُرخص لكل غال
ما لعيش تشقون فيه سقامـــــــاً *** بسوى الاتحاد من إبلال
فليكن بعضكم لبعـــــض نصيراً *** ومعيناً له على كل حال
وإذا قلت: إنكـــــــــــــم أنتم النا *** س جميعاً فلا أكون مغال
فاعملوا دائبين غير كسالـــــــــى *** وارقبوا ما به ستأتي الليالي
ثم قولوا معي مقالاً رفيع الصـــ *** ـــوت: فلتحيا زمرة العمال

الشاعر هنا ينادي زمرة العمال، ويخصهم بخطابه، ويدعوهم للاتحاد، فهو الطريق الموصل لكل غال ونفيس، ويكون بعضـــهم نصـــيراً ومعينـــاً للآخر، ثم يوضع أنهم بالنسبة له الناس جميعاً، فالمجتمع قائم بهم، فلابـــد من العمل حتى يكون شعاره وشعارهم: فلتحيا زمرة العمال.

بدأ الشاعر الأبيات بأسلوب النداء (أيها)، فحذف أداة النـــداء (يـــا)، وذكر المنادى مقروناً بالهاء؛ للتنبيه، فهو ينادي وينبه هؤلاء العمال لمـــا

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـــ٢٦٢.

يلقيه عليهم من كلام.

ويأتي باسم الفاعل (مرخِص)؛ ليبين لهم ما يفعله بهم الاتحاد، فهو مرخص لهم كل غال، فاسم الفاعل هنا يدل على الحدث والزمن معاً.

ثم أتى بالصدر في قوله: (إبلال)؛ ليدلل على أن أي عمل أو إنتاج بدون اتحاد لا يبقي ولا يستمر، وهذا إن دل فإنما يدل على تمكن الشاعر من لغته وحرصه على الإقناع، وبيان عواقب الأمور.

كما لجأ الشاعر لأفعال الأمر في قوله: (فليكن، واعملوا، وارقبوا، وقولوا)؛ وذلك لينقل لنا حالته الانفعالية، التي تحرك الهمم، وتحثها على الاستجابة.

وختم القصيدة بجملة جعلها شعاره وهي: (فلتحيا زمرة العمال)، فهو شعار يبعث الهمم ويحركها في نفوس أصحابها.

إلى غير ذلك من الموضوعات الاجتماعية التي تناولها الرصافي، وخصصها بجزء من ديوانه، والتي تتعلق بهموم مجتمعه وعاداته، وقد اكتفيت بتلك النماذج التي عرضتها؛ لأنها تتفق مع الموضوعات التي تناولها (شوقي) في ثنايا ديوانه، حتى أتمكن من الموازنة بينهما.

المبحث الثالث
الموازنـــــة بين الشاعريـــن

المبحث الثالث

الموازنة بين الشاعرين

فُطر النقاد على حب المفاضلة بين الوسائل التي ترمي إلى غرض واحد، والموازنة بين الأنواع التي ترجع إلى أصل واحد، وقد ظهرت هذه الفطرة واضحة جلية حين ظهر الشعر، وتبارى في قرضه الشعراء.

وليست الموازنة إلا ضرباً من ضروب النقد، يتميز بها الرديء من الجيد، وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان، فهي تتطلب قوة في الأدب، وبصراً بمناحي العرب في التعبير(١).

ولقد كان النهج السائد بين النقاد أن يتناولوا بالموازنة شاعرين اتحدا في الغرض، ثم الحكم بتفضيل أحدهما على الآخر، تفضيلاً يتعارض مع الذاتية في الشعر، فإن الشعراء مهما اتحدوا في الغرض، فلابد وأن يكون لكل منهم منهجه الذي يسلكه في التعبير.

لذا سأقف هنا –بعون الله– في بحثي هذا على أمور توضح التباين والتشابه بين (شوقي، والرصافي)، تلك الأمور التي توازن بين عبقرية وعبقرية، وتفاضل بين بصيرة وبصيرة، وتقارن بين إدراك وإدراك، ومدى توفيق كلا منهما في تقديم تجربته الإبداعية للمتلقي، والحكم عليها بالإجادة أو الاتقان، دون التعصب لأحدهما على الآخر.

والمتأمل في موضوعات الشعر الاجتماعي عند الشاعرين يلحظ أنهما قد اجادا وبرعا في نظرتهما للمجتمع، ولكنهما اختلفا في طريقة التناول،

---

(١) ينظر: الموازنة بين الشعراء د/زكي مبارك صـ٧، الناشر/دار الجيل، بدون طبعة وتاريخ.

والمعالجة، وسأقف -بعون الله- لأوازن بينهما ما أمكنني لذلك سبيلاً من خلال ما يأتي:

أولاً- موضوعات الشعر الاجتماعي بين شوقي والرصافي:

من خلال دراستي لموضوعات الشعر الاجتماعي بين شوقي والرصافي، تبين لي أنهما تناولا في شعرهما الاجتماعي عدة موضوعات، من أهم تلك الموضوعات، التعليم: فقد تناوله الشاعران كفكرة رئيسية اتفقا فيها، ولكن كان لكل منهما منهجه الخاص في بناء أفكاره الجزئية لهذا الموضوع.

فشوقي عندما تحدث عن موضوع (التعليم)، تحدث عنه بطريقة تحبب الناس في العلم، وتنفرهم من الجهل، فقال[1]:

الجهل لا يلد الحياة مُواته *** إلا كما تلد الرمام الدودا

انظر إلى تلك الصورة المشخصة المجسدة أمام المتلقي، والتي تشخص الجهل بإنسان لا يولد منه نفع بالحياة، فما يولد منه يشبه الدود الذي يولد من الرمام البالية.

ونراه أيضاً في ذمه للجهل يقول[2]:

وفي الجهال لا تضع الرجاء *** كوضع الشمس في الوحل الضياء

انظر إلى عبقرية شوقي في نهيه عن وضع الرجاء في الجهال، فمن يضع رجاءه فيهم يشبه الشمس التي تضع ضياءها في الوحل، فلا فائدة من هذا وذاك.

---

(١) ينظر: الشوقيات ١/١١٢.

(٢) ينظر: الشوقيات ٤/٣٥.

إن هذه الصورة التشبيهية التي اختارها الشاعر توضح لنا وعيه بقضيته وانفعاله بها، ورغبته في تحريك النفوس بسلاح وجداني ينهر النفوس ويقززها من الجهل.

أما الرصافي فقد كان أهدأ من شوقي في انفعاله، فدعا للعلم وحذر من الجهل ولكن بطريقة أهدأ وألطف من التي سلكها شوقي، حيث جعله هو النور الذي يجلو الفقر، ويجلو الظلام، فمثلاً نراه يقول(١):

وليس الغني إلا غني العلم إنه *** لنور الفتي يجلو ظلام افتقاره

وما العلم إلا النور يجلو دجى العمى *** ولكن تزيغ العين عند انكساره

فالرصافي سلك طريق الترغيب أكثر من طريق الترهيب التي سلكها شوقي، فرغب في العلم لمن يريد الغنى، ولمن يريد النور في حياته.

فشبه العلم بالنور الذي يجلو ظلام الفقر، ويجلو ظلام الأيام وما هذا إلا ترغيب في العلم وذم للجهل.

كذلك نرى شوقي يحث على طلب العلم ونشره، بأن جعل ناشر العلم كالمجاهد في سبيل الله، يقول(٢):

ياناشر العلم بهذي البلاد *** وفقت نشر العلم مثل الجهاد

فشوقي هنا يوضح لناشر العلم ثوابه الذي ينتظره، فهو كثواب المجاهد في سبيل الله، والمجاهد ثوابه عظيم عند الله، فجاءت طريقته هنا ترغيبيه في الثواب والجزاء العظيم الذي ينتظر ناشر العلم.

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ٦٩.

(٢) ينظر: الشوقيات ١/١١٦.

ويقترب الرصافي من شوقي في توضيح جزاء العلم وناشره، حيث يجعله حي لا يموت، يقول(١):

أو ما تعلم في هذه الحياة *** أن رب العلم حي لا يموت

فالرصافي وشوقي يتفقان في بيان جزاء ناشر العلم، فقد جعله شوقي كالمجاهد، وجعله الرصافي حي لا يموت، وكلاهما حقيقة مأخوذة من أحاديث الرسول -ه-.

ثم نجد شوقي وهو يدعو للعلم، يجعل المدرسة وهي مكان العلم تناجي وتتحدث إلى طلابها، فيقول(٢):

أنا المدرسة اجعلني *** كأم لا تمل عني

أنا المصباح للفكر *** أنا المفتاح للذهن

فشوقي يتنحى ويترك المدرسة تتكلم، فيشخصها أمام مستمعيه، ويجعلها تناديهم، وهذا أقرب للقلوب وأوضح من الناحية العاطفية.

أما الرصافي فلم يفعل كما فعل شوقي، واكتفى بأن دعا لبناء المدارس فهي الطريق للعلم، ودعا لبذل المال من أجل ذلك، وذم البخل، فنراه يقول(٣):

ابنوا المدارس واستقصوا بها الأملا *** حتى نطاول في بنيانها زحلا

جودوا عليها بما درت مكاسبكم *** وقابلوا باحتقار كل من بخلا

فالرصافي هنا دعا لبناء المدارس، واستخدم أساليب الأمر: (ابنوا،

---

(١) ينظر: ديوان الرصافي صـ١٠٧.

(٢) ينظر: الشوقيات ١٩٦/٤.

(٣) ينظر: ديوان الرصافي صـ١٣٥.

استقصوا، جودوا، قابلوا)، وفي هذا تحريك للنفوس وحث للهمم، فجاءت دعوته ألزم وأشد من دعوة شوقي من الناحية الفنية.

كذلك من الموضوعات الاجتماعية التي تناولها الشاعران، موضوع (المرأة)، وكان لكل منهما موقفه وطريقته في تناول قضايا المرأة.

نظر شوقي للمرأة فجعلها هي أساس المجتمع، فلولاها ما خلق الولد، ودعا إلى تعليمها فلولاها ما تعلم المجتمع، فنراه يقول(١):

لولا التقى لقلت: لم *** يخلق سواك الولد

ويقول(٢):

وإذا النساء نشأن في أمية *** رضع الرجال جهالة وخمولا

كما دعا لحجاب المرأة، ولكنه في دعوته بدا متناقضاً، فتارة يؤيد دعوة (قاسم) ويدعو لتحررها، ولكنه مخافة القصر يدعو لحجابها، فدعوته لم تكن صادقة؛ لأنها ليست نابعة من صميم رأيه ومعتقده، وقد وضحت ذلك بالتفصيل أثناء الدراسة التحليلية.

أما الرصافي فكان جل تركيزه في اجتماعياته على المرأة المظلومة المسلوبة الحقوق، فجعل معاناتها موضع اهتمامه في اجتماعياته، فنراه يقول عن أم اليتيم(٣):

رمت مسمعي ليلاً بأنّة مؤلم *** فألقت فؤادي بين أنياب ضيغم

انظر إلى إحساس الشاعر بمعاناة تلك المرأة وسماعه لصوت أنينها،

---

(١) ينظر: الشوقيات ١٩٢/٤.

(٢) ينظر: الشوقيات ١٨٣/١.

(٣) ينظر: ديوان الرصافي صـ٧١.

ومدى تأثره بها، فكأنها بأنينها وضعت قلبه بين أنياب ضيغم.

هل ترى رقة إحساس مثل هذا، فهو يعيش معاناته، ويقابلها نفس الشعور، فيمضي في قصائده في رسم معاناتها ومحاولة نصرتها.

كذلك من الموضوعات الاجتماعية التي تناولها الشاعران موضوع (العمل)، فكلا منهما دعا للعمل، وبيّن قيمته ودوره في بناء المجتمع.

فشوقي في دعوته للعمل، دعا العمال إلى العمل والكد، وإلى تقليد آثار الأجداد، فنراه يقول(١):

قلدوا الأثر المعـــ *** ـجز والفن العجابا

فشوقي إذا كان دعا للعمل والكد؛ إلا أنه في دعوته دعا إلى تقليد آثار الأجداد فهو الأثر المعجز والفن العجاب.

أما الرصافي فقد اختلف عن شوقي في دعوته للعمل، حيث دعا إلى ترك القديم وعدم تقليده، فلابد من بناء جديد وعدم النظر للقديم ، فإن الفخر لمن صنع جديداً وله قديم، وليس لمن لم يصنع حتى ولو كان له قديم، فنراه يقول(٢):

فوجه وجه عزمك نحو آت *** ولا تلفت إلى الماضيين جيداً

وأسس في بنائك كل مجـــد *** طريف واترك المجد التليدا

فالرصافي دعا إلى ترك القديم، وصناعة مجد جديد، أما شوقي فاكتفى بالتقليد في دعوته للعمل.

---

(١) ينظر: الشوقيات ١/٩٠.

(٢) ينظر: ديوان الرصافي صـ٦٤.

ثانياً- الخصائص الفنية للشعر الاجتماعي عند الشاعرين:

بعد دراستي للشعر الاجتماعي عند الشاعرين، ظهرت لي الكثير من الخصائص الفنية البارزة عندهما.

فأول ما يسترعي الانتباه عندهما (اللغة)، ذلك الكائن الحي الذي له كيانه، وخصائصه الفنية، وفلسفته التي يعيش بها في أي مجتمع متفاعل معه(١).

لقد اختار الشاعران لغتهما التي تعبر عن تجاربهما، فاحتوت قصائدهما على ثروة لغوية من طوائف الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى، مما عكس ثرائهما اللغوي وتمكنهما من لغة التخاطب.

لقد اختار الشاعران ألفاظاً مناسبة للمضمون، موضحة للفكرة، لا غموض فيها ولا تعقيد.

الشاعران اختارا ألفاظاً من التراث العربي، فنجد شوقي مثلا يقول(٢):

أوددت لو صارت نساء النيل ما *** كانت نساء (قضاعة) و (نزار)

فـــــــ (قضاعة، ونزار) أسماء قبيلتين مشهورتين في الجاهلية.

أما الرصافي، فنراه يقول(٣):

(نوار) تستجد بها المعالي *** وتبلي دون عفتها العيوب

فـ (نوار) زوجة (الفرزدق)، التي طلقها، ثم ندم على طلاقها؛ لما

---

(١) ينظر: النقد التطبيقي والموازنات تأليف/ محمد الصادق عفيفي صـ١٧٥، الناشر/مكتبة الخانجي- مصر ١٩٧٨م.

(٢) ينظر: الشوقيات ٣/٧٨.

(٣) ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٣.

تبين له من عفتها وطهارتها.

كذلك نلحظ (شوقي) استعان بالتراث الديني في اختياره الألفاظ، فنراه يقول[١]:

كأن الخود (مريم) في سفور *** ورائيها حواري وقس

فاختار ألفاظ (مريم، حواري، قس) من التراث الديني، فقد استقاها من القرآن الكريم.

أما (الرصافي) فقد أكثر من الألفاظ المشتقة، كالمصدر، واسم الفاعل، وصيغ المبالغ، وغيرها، فمثلاً نراه يقول[٢]:

غلوتم في ديانتكم غلواً *** يضيق ببعضه الشرح الرحيب

وقوله[٣]:

أيها العاملون إن اتحاداً *** بينكم مرخص لكل غال

فنلحظ أن (غلواً، الرحيب، اتحاداً، مرخص) كلها ألفاظ مشتقة.

وإذا انتقلنا إلى (الأسلوب) نلحظ أن الشاعرين اتفقا في طابع الأسلوب؛ لأنهما ينتميان إلى المدرسة الكلاسيكية، الموروثة عن أعلام التجديد في الشعر.

فشوقي استطاع أن يكون لنفسه أسلوباً أصيلاً لا يتحرر من القديم، ولكن في الوقت نفسه يعبر عن الشاعر وعصره، وكل ما يريد من معان

---

(١) ينظر: الشوقيات ٥٢/٢.

(٢) ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٦.

(٣) المرجع السابق: صـ٢٦٢.

وأفكار، وهو أسلوب يقوم على الجزالة والرصانة والمتانة والقوة[١].

أما الرصافي فقد تأثر بشوقي في تمسكه بالقديم، مع الميل إلى السهولة في الأسلوب بما يواكب الحياة اليومية.

فالقارئ لشعرهما الاجتماعي يلحظ أنهما نوعا في الأسلوب بين الخبر والإنشاء، بطريقة متوازية، فيأتي الخبر عندما يتطلبه المقام، ويأتي الإنشاء عندما يتطلب المقام إثارة وجذب للمتلقي.

كما نلحظ إغراق (شوقي) في الخيال، فقد أكثر في شعره الاجتماعي من التشبيهات والاستعارات والكنايات؛ لأن "شوقي من صنع الطبيعة، ولد منشداً كما يولد البلبل مغرداً، وعاش يلقي على الشعر برود اً من جمال، وثياباً منمنمة الخيال"[٢]، فمثلاً نراه يقول[٣]:

كأني وجه صياد *** وأنت الطير في الغصن

وقوله[٤]:

كالببّغا في قفص *** قيل له فقلدا

وكالقضيب اللدن قد *** طوع في الشكل اليدا

أما الخيال عند (الرصافي) فقد مر بمرحلتين:

الأولى: طور التقليد وهو الطور الأول من حياته حتى قدومه إلى بغداد عائداً من الأستانة عام (١٩٢٣م)، وفي هذا الطور كانت صوره

---

(١) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف صـ١١٤،١١٥.

(٢) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه د/ محمد عبد المنعم خفاجي ١٠٤/١.

(٣) ينظر: الشوقيات ١٩٦/٤.

(٤) المرجع السابق: ١٩٢/٤.

الشعرية قديمة وكان يحاول دائماً احتذاء طريقة الشعراء القدماء وتقليدهم.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التجديد في صوره الشعرية، ويمتاز أسلوب الشاعر بالاستقلال الفني والسهولة والوضوح وقلة الإغراب(١).

فمن خلال دراستي لشعره الاجتماعي لاحظت أنه ينتمي للمرحلة الثانية، فقد امتاز بالسهولة والوضوح، وعدم الإكثار من الخيالات.

أما بخصوص المحسنات البديعية، فقد استعانا بها الشاعران، على نحو يخدم الغرض في إعطاء نغم خاص، دون تكلف وإسراف، مما يدل على المقدرة الفنية للشاعرين.

فمثلاً نري شوقي يقول(٢):

واعمروا الأرض فلولا *** سعيكم أمست يبابا

فالطباق هنا بين (اعمروا، ويبابا) فلولا الطباق بين العمار والخراب، لما وضحت الفكرة، فالطباق يوضح الغرض ويومئ بالمقصود للمتلقي.

والرصافي يقول(٣):

أراد الله تيسيراً وأنتم *** من التعسير عندكم ضروب

فالطباق بين (تيسيراً، والتعسير)، وهو هنا يوضح المعنى ويقرب الصورة.

هذا إلى جانب موسيقى (الوزن والقافية)، فمحافظة الشاعران على عمود الشعر العربي، المتمثل في الوزن والقافية، أضاف على الأبيات جرساً

---

(١) ينظر: دراسات في الأدب الحديث ومدارسه ١٥٧/١.

(٢) ينظر: الشوقيات ٩٠/١.

(٣) ينظر: ديوان الرصافي صـ٩٦.

موسيقياً رنان قوى الانسجام بين الشكل والمضمون.

هكذا ظهرت الخصائص الفنية عند الشاعرين، فأعطت لكل منهما طابعه الخاص المتسم بالجودة والأصالة.

ثالثاً- جوانب التميز بين شوقي والرصافي:

أردت في هذا الجزء بيان أبرز جوانب التميز بين شوقي والرصافي في شعرهما الاجتماعي.

سأبدأ بعرض أهم ما تميز به شوقي عن صاحبه الرصافي:

- الخيال الخصب والإمعان في رسم الصور، والاستمداد من التراث، وخاصة التراث الديني والذي ظهر جلياً عند شوقي.
- عدم التعصب لطائفة أو مذهب معين، على عكس الرصافي الذي أعلن تحيزه للاشتراكية، وصرح بذلك في شعره، وقد وضحت ذلك بالتفصيل أثناء الشرح والتحليل.
- انتهاج شوقي في شعره الاجتماعي طائفة من الحكم التي ابتكرها؛ لتصل للمتلقي وتظل عالقة في ذهنه.

أما ما تميز به الرصافي عن شوقي:

- الصدق العاطفي، فقد عاش الرصافي تجاربه الاجتماعية، حيث عانى من الفقر والحرمان، على عكس شوقي شاعر القصر المنعم.
- جاء الشعر الاجتماعي عنده غرضاً مستقلا في ديوانه، خصص له جزءاً سماه (اجتماعيات)، على عكس شوقي فقد جاء شعره الاجتماعي بين ثنايا ديوانه.
- موقفه المتعاطف مع المرأة، فقد نقل معاناتها وأحس بألمها، على عكس شوقي فلم ينظر لمعاناتها بل وقف من قضايا حجابها وتحررها موقفاً

متناقضاً، وقد بينت ذلك بالتفصيل أثناء الشرح والتحليل لقضايا المرأة عنده.

وأخيراً أقول: إن جوانب التميز بين الشاعرين التي ذكرتها لا تقلل من شأن أحدهما، أو ترفع أحدهما على الآخر، بل تثبت مدى القدرة الفنية للشاعرين، فالأعمال في مجملها لا تخلو من نقصان، فالكمال لله وحده.

الخاتمة

رزقنا الله حسنها

وبعد هذه الجولة مع شاعرين كبيرين من كبار شعراء العصر الحديث، ظهرت لي عدة نتائج تمثلت فيما يأتي:

- شوقي أمير شعراء العصر الحديث، نهص بالشعر في جميع أغراضه، خاصة شعره الاجتماعي، فكان لسان الحال المتحدث بقضايا وطنه.
- الرصافي من أهم شعراء العراق، الثائرين الرافضين للظلم والقهر، فنقل لنا معاناته ومعاناة مجتمعه، في قصائد اجتماعيه أبرزت الواقع الذي يعيشه.
- الموازنة موضوع قيم مفيد، دأب عليه الأدباء في مختلف العصور، وتظهر قيمتها عندما تكون منصفة تبرز جوانب التمييز والتميز دون التعصب لشاعر دون آخر.
- الخصائص الفنية للشاعرين كثيرة، وقد أبرزت منها ما تيسر لي، مما أبان لنا المقدرة الفنية التي يتميز بها الشاعرين.
- الشعر الاجتماعي من الموضوعات الهامة، التي يبرز الشعراء من خلالها معاناة المجتمع، ومن ثم محاولة انصافه، وتقديم الحلول التي ترفع من شأنه.

وإني لأدعو الباحثين إلى طرق الموضوعات الاجتماعية لشعرائنا، وتناولها بالدراسة والتحليل، فنتاجنا الأدبي يزخر بالعديد من القصائد الاجتماعية التي تتحدث بلسان أفراد المجتمع، فتطرح المشكلات وتقدم الحلول، فما أحوجنا إلى مثل تلك الموضوعات في عصرنا هذا.

وفي الختام ادعو الله –تعالى– أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

فهـرس المصادر والمراجـع

أولا: القرآن الكريم جل من أنزله.

ثانياً: المصادر.

١- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، تأليف/ أنيس مقدسي، ط٧: ١٩٨٢م، الناشر/ دار العلم للملايين- بيروت.

٢- الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف، الطبعة: العاشرة، الناشر/ دار المعارف.

٣- الأدب وفنونه (دراسة ونقد) تأليف/ عز الدين إسماعيل، الناشر/ دار الفكر العربي، بدون طبعة وتاريخ.

٤- أسلوبيات (علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات) د/ محمد السيد مطر، الناشر/ الأكاديمية الحديثة، بدون طبعة وتاريخ.

٥- أعلام الأدب في العراق، تأليف/ مير بصري، تقديم:د/ خليل العطية ط١: ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، الناشر/ دار الحكمة.

٦- الأعلام للزركلي (ت:١٣٩٦هـ) ط٥: ٢٠٠٢م، الناشر/ دار العلم للملايين.

٧- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ط١: ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م، الناشر/ دار الكتب المصرية.

٨- إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد، تأليف/ طالب زكي طال، الناشر/ المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

٩- البيان والتبيين للجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، الناشر/ مكتبة الهلال- بيروت ١٤٢٣هـ.

١٠-التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي، تأليف/ ماهر بن مهل الرحيلي، الناشر/ مكتبة كنوز المعرفة- المدينة المنورة ١٤٢٧هـ.
١١-جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ)، الناشر/ دار الفكر- بيروت.
١٢-دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط١: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، الناشر/ دار الجيل- بيروت.
١٣-دراسة في طبيعة المجتمع العراقي د/ على الوردي، الناشر/ دار الوراق للنشر ٢٠٠٧م.
١٤-ديوان الرصافي للرصافي، مراجعة/ مصطفى الغلاييني، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٢م.
١٥-ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه/ أحمد أمين، وآخرون، ط٣: ١٩٨٧م، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٦-ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه/ علي حسن فاعور، ط١: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
١٧-شرح ديوان عروة بن الورد العبسي لابن السكيت، صححه/ الشيخ ابن أبي شنب، الناشر/ مطبعة جول كربونل- الجزائر ١٩٢٦م.
١٨-شرح صحيح البخاري لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)، ت/أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، الناشر/ مكتبة

الرشيد- الرياض.
١٩- الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، تأليف/ حسين عطوان ط٢: ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، الناشر/ دار الجيل.
٢٠-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، تأليف/ يوسف خليف، الطبعة: الرابعة، الناشر/ دار المعارف، بدون تاريخ.
٢١-شعراء العراق في القرن العشرين د/ يوسف عز الدين، الناشر/ مكتبة أسعد- بغداد ١٩٦٩م.
٢٢-الشوقيات لأحمد شوقي، الناشر/ دار الكتاب العربي- بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
٢٣-طبقات الشعراء لابن المعتز (ت:٢٩٦هـ)، ت/عبد الستار أحمد فراج، الطبعة: الثالثة، الناشر/ دار المعارف، بدون تاريخ.
٢٤-في الأدب الحديث، تأليف/ عمر الدسوقي ط١: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، الناشر/ دار الفكر العربي.
٢٥-لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ) ط٣: ١٤١٤هـ، الناشر/ دار صادر- بيروت.
٢٦-معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، الناشر/ مكتبة المثنى- بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
٢٧-معروف الرصافي (دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية) تأليف/ بدوي طبانة، ط١: ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م، الناشر/ مطبعة السعادة بجوار محافظة

مصر.
٢٨-من شعراء الإحياء (أحمد شوقي، ومعروف الرصافي، ومحمد الشاذلي) تأليف: د/ آمال موسى وآخرون، الناشر/ المنظمة العربية للتربية والثقافة- الآلسكو، بدون طبعة وتاريخ.
٢٩-الموازنة بين الشعراء د/ زكي مبارك، الناشر/ دار الجيل، بدون طبعة وتاريخ.
٣٠-موسوعة السياسة د/ عبد الوهاب الكيالي، الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت- لبنان، بدون طبعة وتاريخ.
٣١-الموسوعة الشوقية، جمع وترتيب/ إبراهيم الإبياري، الناشر/ دار الكتاب العربي ١٤١٥هـ.
٣٢-النقد التطبيقي والموازنات، تأليف/ محمد الصادق عفيفي، الناشر/ مكتبة الخانجي- مصر ١٩٧٨م.
٣٣-وحي القلم للرافعي (ت:١٣٥٦هـ) ط: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، الناشر/ دار الكتب العلمية.